مجلة الابتسامة

** معرفى **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الابتسامة
حصريات شهر نوفمبر 2019

www.ibtesamah.com/vb

الوصول إلى الحقيقة يتطلب إزالة العوائق
التي تعترض المعرفة ، ومن أهم هذه العوائق
رواسب الجهل وسيطرة العادة ، والتبجيل المفرط لمفكري الماضي
إن الأفكر الصحيحة يجب أن تثبت بالتجربة

حصريات مجلة الابتسامة

** شهر نوفمبر 2019 **

www.ibtesamah.com/vb

التعليم ليس استعداداً للحياة ، إنه الحياة ذاتها
جون ديوي
فيلسوف وعالم نفس أمريكي

www.ibtesamah.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر نوفمبر 2019

مجموعة القصص
الادبية العالمية

٦

مابيل
وقصص اخرى

تأليف
سومرست موم

ترجمة
عبد اللطيف شراره

دار المعارف لبنان ش. م. ل.

www.ibtesamah.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر نوفمبر 2019

— ١ —

مابيل

كنت في باغان ، أحد مرافيء بورما ، ومنها ركبت البحر إلى مندالاي ، غير أني عزمت قبل أن أصل الى هذه الأخيرة ، على النزول من المركب إلى الشاطيء اثناء الليل ، ساعة رسا عند ساحل قرية صغيرة ، وأخبرني الربان أن ثمة نادياً يلتقي فيه الغرباء البيض ، ويعيشون فيه كما لو كانوا في اوطانهم وبين اهليهم .

ولما لم يكن لدي ما اعمله ، قصدت إحدى عربات الثيران التي كانت تنتظر المسافرين على الشط ، واستقللتها إلى النادي . وهناك لقيت رجلًا اقبل عليّ لحظة رآني يسألني ما إذا كنت اريد الوسكي ام الدجين ، دون ان يخطر بباله أنني قد لا اريد شيئاً من الشرابين ، ولكني اخترت الوسكي ، وجلست .

بعد دقائق ، جاءني الرجل نفسه يحادثني كأنني صديق له قديم ، وأنا لم اتمكن حتى الآن من معرفة اسمه ، وفيما هو يتحدث جاء رجل آخر ، عرفني بنفسه انه امين النادي ، وخاطب صديقي

www.ibtesamah.com/vb

بقوله له : « يا جورج » سائلاً :

ـ هل سمعت شيئاً جديداً عن زوجتك ؟

اجاب وقد اشرقت عيناه :

ـ نعم ! وردت الي رسائل منها في بريـــد اليوم ، وهي لم تنته بعد من اعداد سفرها إلي .

ـ هل هي ترجوك ان لا تغضب ؟

ضحك جورج ضحكة هادئة ، غير اني لا ادري اذا كان وراءها ، فيما خيل إلي ، طيف آهة عميقة ، وقال :

ـ انها في واقع الأمر تتوجه إلي برجاء من هذا القبيل ! وانا اعلم بالطبع ، انها تريد عطلة ، وسرني انها حصلت عليها ، ولكن هذا مما لا يقوى شاب مثلي على تحمله ؟

ثم انفتل نحوي وقال :

ـ لك ان تعرف ان هذه هي المرة الأولى التي افترق بهـــا عن عروسي ، واراني في فراقهـــا أشبه ما اكون بكلب ضائع .

ـ كم مضى من الوقت على زواجكما ؟

ـ خمس دقائق :

ضحك امين النادي ، وقال له :

ـ لا تكن مجنوناً يا جورج ! لقد مضى على زواجكما ثماني سنوات !

وما هي إلا برهة مضت نظر جورج بعدها في ساعته ، واعلن

www.ibtesamah.com/vb

انه مضطر إلى الذهاب وتركنا ، فرأيت امين النادي يشيعه ، وهو يتوارى في الظلام ببسمة ساخرة ، لا تحمل شيئاً من لطف الابتسام ، ثم يقول :

ـ كلنا ننصب عليه الآن ، وقد اصبح وحيداً، بالاسئلة وهو الذي لا يجد سبيلًا الى الهدوء ، ولا تفارقه الكآبة ، منذ ذهبت زوجته إلى الوطن ، فقلت :

ـ يجب ان تكون تلك الزوجةعلى جانب كبير منالسرور، اذا هي علمت ان زوجها ينطوي في قلبه على مثل هـذا الاخلاص لها .

ـ ان مابيل امرأة ممتازة .

ثم دعا الغلام وطلب المزيد من المشروبات ، واطمأن في جلسته ، واشعل سيكاراً ، وراح يسرد علي قصة جورج ومابيل :

لقد ارتبطا عندما كان في الوطن يستعد للسفر ، وحين جاء الى بورما ، وضعت الخطة على ان تلتحق به بعد مضي ستة أشهر، ولكن العراقيل والمصاعب كانت تتوالى وتتوالد واحدة بعد اخرى ، إذ مات والد مابيل ، واندلعت الحرب، وارسلجورج الى مقاطعةلا تستطيع المرأة البيضاء ان تحيا فيها، حتى مر عليها أخيراً سبع سنوات دون ان تتمكن من اللحاق به .

وقام المسكين بجميع الترتيبات لإجراء الزواج في يوم

www.ibtesamah.com/vb

وصولهـــا ، وذهب الى رانغون لملاقاتها .

وفي الصباح الذي كان مقررا بـــه وصول المركب ، استعار سيارة وانطلق بها نحو المرفأ ، وراح يذرع الرصيف جيئـــة وذهابا .

ولكن حدث له فجأة ان اصيب بانهيار عصبي . لقـــد مضى عليه سبع سنوات لم يشهد خلالها مابيل وهو الذي نسي وجهها ، واصبح لا يعرف إذا لقيها ، ما اذا كانت هي ام غيرها . واحس بغتة بخور وخواء في معدته ، وطفقت ركبتاه ترتجفان ، واصبح لا يقوى على ملاقاتها ، وهو على تلك الحال .

كان من واجبه في اقل ما يفترض ، ان يخبر مابيل انـــه لا يستطيع بالفعل ، ان يتزوج ، وان يعبر لها عن آسفه لما أصابه . ولكن أنى لامريء ان يقول مثل هذا الشيء لفتاة ربطها بـه منذ سبع سنوات ، وقطعت مسافـة ستة آلاف ميـــل لملاقاته ؟

ـ انه لا يملك ان تحمل اعصابه حتى مصارحتها بهـذا الواقع الأليم .

ولكن سرت الى قلبه في غمرة اليأس الذي اجتاح كيانـه ، شجاعة اليائسين ، فكتب إلى خطيبته رسالة على عجل ، وركب لتوه المركب الذي انطلق بالضبط في تلك اللحظة الى سنغافورة ، دون ان يحمل معـــه شيئاً من امتعته . وكانت رسالة اليها ، كما يلي :

www.ibtesamah.com/vb

« أعز اعزائي مابيل :

لقد دعيت فجأة إلى عمل لا املك اهماله بحال ، ولا اعرف متى اعود . وفي ظني ان اسد خطوة يمكنك خطوها ، انما هي ان تعودي الى انكلترا . وذلك لأن خططي غير واضحة ، ولا ادري ما يمكن ان يحل بي .

محبك : جورج . »

ولكنه لم يكد يبلغ سنغافوره حتى وجد برقية تنتظره :

« فهمتَ لا تكن مهموماً . لك حبي !

مابيل »

وحمله الخوف الى قمة الفطنة والنباهة ، فقال في نفسه : « انها ويسوع ، ستتبعني ! » وابرق فوراً الى مكتب السفر يقطع تذكرة الى رانغون ، وهو مقتنع كل الاقتناع ان المركب القادم الى سنغافوره يحملها معه . ولم يكن لديه من الوقت دقيقة واحدة يضيعها ، فاضطرب اضطراباً عظيماً ، إذ ادرك انها لن تعدم وسيلة الى معرفة مكانه . غير انه صادف لحسن حظه أفاقاً فرنسياً يبغي الذهاب في اليوم التالي الى سايغون ، فابحر معه واضعاً في حسابه انه يعيش في سايغون بمأمن امين ، إذ لن يخطر ببالها انه هناك . واذا كان لها ان تفطن الى ذلك ، فلن تفطن إلا بعد زمن طويل ، لان السفر من بانكوك الى سايغون يستغرق

www.ibtesamah.com/vb

خمسة أيام ، والمركب مزعج ، قذر . وسر حين بلغ سايغون ، حتى اذا نزل في الفندق ، ووقع اسمه على السجل ، تلقى بعد ساعات برقية من كلمتين : « حبي مابيل » . وكانت كافيتين لتصبب العرق البارد من جسمه . ثم راح يسأل : « متى يسافر المركب الى هونغ – كونغ ؟ »

اصبح الآن هربه جدياً اكثر من ذي قبل . فقد ابحر الى تلك الجزيرة المكتظة بالناس ، ولكنه لم يجرأ على البقاء فيها طويلاً ، إذ اسرع فابحر منها الى مانيلا في جزر الفيليبين . ولكن مانيلا كانت مشؤومة ، فتابع سفره الى شنغهاي . وفي شنغهاي ارهقت اعصابه المتاعب والافكار السوداء ، فكان كلما خرج من الفندق خشي ان تسوقه الاقدار الى ذراعي مابيل ، فكان افضل شيء يقوم به ان يذهب الى يوكوهاما ، وما كاد يصل حتى لقي في الفندق الذي نزل به ، برقية تقول : « اسفت كل الأسف ان اضيع عنك في مانيلا . لك حبي

مابيل » .

ادرك اخيراً ان دائرة مخابرات السفن هي التي تنقل اليها المعلومات الدقيقة عن تنقلاته فذهب الى رئيس تلك الدائرة ، وخاطبه مغاضباً ، عابساً :

– أين هي الآن ؟

وقفل راجعاً الى شنغهاي ، وهناك وجد في النادي برقية

www.ibtesamah.com/vb

قدمت اليه فور وصوله : « قريباً اصل . لك حبي مابيل ».

لا ! لم يبق في مستطاعه ان يطيق ، وعزم على تنفيذ خطة تضيع بها عنه : نهر اليانغ ـ تسي طويل ، وهو ينحدر نزولاً . يستطيع ان يركب المركب الصاعد الى تشونكنغ ، وبعد قليل لا يقدر احد ان يسافر فيه إلا بزورق صيني ، ومثل هذه الرحلة مما لا يتاح للنساء ان يقمن بها .

ولذا ذهب الى هانكاو ، ومن هانكاو الى ايتشانغ ، ومنهـــا ركب النهر الى تشونكنغ ، وهناك من بعد ، مدينة تدعى تشنغ ـ تو ، هي عاصمة مقاطعة اسزي ـ تشو ـ آنغ تبعد عن الساحل أربعماية ميـــل ، ولا يمكن الوصول اليها إلا عن طريق البر ، وطريقها مليئة بقطاع الطرق ، ولا يأمن فيها على حياته سوى الرجال .

واقام في تلك المدينة الصينية النائيـــة مطمئناً ، يتنفس ملء رئتيه ، ويشاهد فاعم البال مرتاحاً ، الجدران المخططة في المدينة المنعزلة ، ويطل من تلك الجدران ، لدى مغيب الشمس على جبال التيبت ..

ها قد اصبح اخيراً قادراً على التمتع بالهدوء، فلن تسعى بعد مابيل وراءه ، ولا يمكنها ان تعثر عليه . وقد بلغ قمة سروره حين عرف ان القنصل الانكليزي المقيم هناك ، صديق قديم له ، فنزل عنده واقام في رغد ورفاه وفراغ ،بعد ذلك الطواف

www.ibtesamah.com/vb

الشاق المضني في جهات آسيا ، وراحت الايام تجري خالية ، هانئة رتيبة ..

وفي صباح ذات يوم ، قرع باب الحديقة قرعـــاً قوياً ، متواصلًا ، واقبل الخادم يخبر القنصل ان سيدة تطلب مقابلته في غرفة الاستقبال .

جاء القنصل ومعه جورج ، واذا بهما يلاقيان مابيل الـــتي سألت ، بعد قليل :

ـ أنت القنصل ؟

ـ نعم !

ـ نستطيع ان نتزوج إذن انا وجورج !

وهكذا كان !

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر نوفمبر 2019

www.ibtesamah.com/vb

- ٢ -

أمرأة في الخمسين

كان صديقي ويمـــان هولت استاذاً للأدب الانكليزي في إحدى الجامعـــات الصغيرة في ميدل وست (الولايات المتحدة الاميركية) . وترامى إلى سمعه ان لي محاضرة في مدينة قريبـة منه ، فدعاني بدوره إلى القاء محـاضرة في الصف الذي يدرسه ، وعرض علي أن اكون في ضيافته لبضعة ايام يستطيـع خلالها ان يطلعني على البلاد وما يدور فيها ، فقبلت على ان اقضي ليلتـين معه ، لا اكثر . وحين وصلت وجدته ينتظرني في المحطة ، وبعد فترة راحة ، ذهبت الى المـكان الذي اعد للمحاضرة ، ودهشت حين ابصرت جمهوراً يزيد عدده عما كنت اتوقع ، ولم اكن على استعداد لالقاء شيء ذي قيمة ، فكل ما في ذهني انني سأتحـدث الى الطلاب حديثاً مرتجلاً استقصي موضوعاته من التجارب الـتي مررت بها في حياتي الأدبية ، وتهيبت الموقف حين وجدت بـين المستمعين اساتذة في الكليات وكهولاً ونساء تجاوزوا الثلاثين ، وخشيت ان يجدوا ما اقوله سطحياً ..

www.ibtesamah.com/vb

غير اني لم يكن امامي سوى ان امضي في محاضرتي اية كانت درجة استعدادي ، بعد ان قدمني ويمان للحضور تقديماً لا ارتفع الى مستواه . وتحدثت للجمهور بما خطر لي آنذاك ، واجبت عن بعض الاسئلة ، ثم انسحبت مع ويمان الى غرفة صغيرة وراء المنبر الذي القيت منه حديثي . وأقبل الناس يفدون علي ، يزجون لي عبارات المجاملة التي تواضعوا عليها في مثل هذه المواقف ، ثم اتتني امرأة مدت لي يدها ، وقالت :

ـ جميل ان اراك مرة ثانية ! لقد مضت اعوام واعوام على لقائنا آخر مرة .

تحاملت على نفسي ، واغتصبت ابتسامة حاولت ان اجعلها قلبية ، فانا لا اذكر بحال ان سبق لي معرفة وجهها ، ورحت ابحث في ذهني وابحث ، وأغوص في ذاكرتي واغوص ، ولكن دون جدوى ، ثم زاد في بلبلتي ان ويمان ، وقد شعر اني لم اعرف مكانها من ماضي ايامي ، قال :

ـ مسز غرين متزوجة من احد اعضاء كليتنا ، وهي تعطي دروساً في الأدب الايطالي عن عصر الانبعاث .

فقلت ، وانا حائر :

ـ صحيح ! ذلك شائق :

ثم فاجأتني بقولها :

ـ هل اخبرك المستر ويمان انك ستتناول العشاء غداً ، معنا ؟

www.ibtesamah.com/vb

ـ انا جد مسرور .

ـ انها ليست حفلة ، هناك زوجي واخوه واخته فقط ! أظن ان فلورنسا قد تغيرت كثيراً منذ ذلك الزمن .

قلت في نفسي : « فلورنسا ! فلورنسا ! » . كانت مخاطبتي امرأة تناهز الخمسين ، ذات شعر اشهب ، بسيط تصفيفه ، الى السمن اقرب ، وثيابها توحي بانها لا تهتم كثيراً بالأزياء الحديثة ، ولها عينان نجلاوان ، زرقتهما باهتة ، وعبارتهما خافتة . ولم تستعمل الحمرة ، وان ظهر على شفتيها صبغة اصطناعية ، وكان تصرفها جملة ، مشبعاً بروح الامومة ، وفيه شيء متكامل هادىء ، جعلها في نظري جذابة . وظننت انني تعرفت اليها ، او لقيتها في زياراتي المتكررة الى فلورنسا ، غير اني لا اذكر ابداً ان كان لها شيء ، ولو ضئيل ، من التأثير في نفسي !

وعندما رجعت الى بيت ويمان ، قال لي في الطريق :

ـ ستأنس بياسبير غرين وتحبه . انه فطين حكيم !

ـ هو استاذ ماذا ؟

ـ ليس استاذاً ، وانما هو معلم ، وباحث مدقق . وهو زوجها الثاني ، وقد اقترنت قبله بفتى ايطالي .

ـ ذلك لا يتطابق مع افكاري عنها . ترى ماذا كان اسمها من قبل ؟

ـ لا أدري ! ولا اظن ان زواجها الاول كان موفقاً ! وقد استنتجت ذلك من هذا الواقع ، وهو انك لا تجد في منزلها

www.ibtesamah.com/vb

شيئاً واحداً يشير الى انها انفقت يوماً واحداً من حياتهـــا في ايطاليا .

ضحكت ، فانا اعرف تلك القطع التي تستهوي النـــاس ويشترونها عندما يزورون ايطاليا ، فهي لا تنطوي على شيء من القيمة ، حتى عندما تكون اصيلة . ولكن صديقي تابـــع حديثه :

ـ لورا غنية ، وعندما تزوجت ياسبير غرين ، اشترت اثاث منزلها كله من شيكاغو ، ومنزلها قطعة من « عدم الذوق » .

وعندما ذهبت لأنام ، أخذت اتساءل : « لورا ؟ لورا ماذا؟» ورحت استعرض في ذاكرتي جميع الاشخاص الذين عرفتهم في فلورنسا ، جاداً في ان اهتدي الى ما يعرفني بها طالما انني سأذهب غداً ، واتناول العشاء معهـــا ، حتى اذا اوشكت ان اغفو ، استيقظت فجأة ، كأن عقلي الباطن قد ارتاح من عناء البحث ، اكتشف اخيراً من هي لورا غرين :

كان ذلك بعد الحرب العالمية الاولى مباشرة ، وقد خطبهـا رجل قتل اثناءها ، فعملت امها على المجيء بها الى فرنسا لتشهد ضريحه ، وهما ـ هي وامها ـ من اهـــل سان فرنسيسكو اساساً .

ثم انتقلتـــا من فرنسا الى ايطاليا ، وقضتا فصل الشتاء في فلورنسا حيث كانت تعيش جالية كبيرة من الانكليز والاميركان ، وكنت آنـــذاك على صلة وثيقة بالكولونل هاردنغ الاميركي

www.ibtesamah.com/vb

وزوجته ، وهو الذي توصل الى رتبته العسكرية ، عن طريق المكانة المرموقة التي استطاع ان يحتلها في جمعية « الصليب الاحمر ، وكان يملك مقصورة بديعة في « فيابولونيز » تتسع لاكثر من اسرة . فطلب الي ان امكث معه في مقصورته . وكان اصدقاؤنا من ابناء الجالية الانكليزية ـ الاميركية يختلفون الى مكان يدعونه « بيت دُونيي » وفيه يجتمعون ويتسامرون. ولم يكن يغشى ذلك المكان من الايطاليين سوى نفر ضئيل تربطه ببعض افراد الجالية روابط صداقة . وهناك كنا نستمع الى حكايات المدينة وقصص ابنائها وبناتها ، ونتعرف الى ما يجري فيها ، وكنت التقي ، بعد ظهر كل يوم ، الكولونل هاردنغ في ذلك النادي ، نلعب البريدج ، او البوكر ، مع غيرنا من الصحاب .

كانت لورا وامها مسز كلايتون الأرملة ، تعيشان في منزل قريب ، وتظهران في حال من الرغد والرفاهية ، والابتعاد عن كل ما يجرح او يسيء ، وقد جاءتا الى فلورنسا وهما تحملان رسائل التوصية والرعاية ، ولكنهما استطاعتا ان تكسبا كثيراً من الأصدقاء ، لما تتمتعان به من كرم وحسن عشرة . وبدت لورا انها في وسطها الصحيح الذي ترتاح اليه نفسها عكس والدتها التي لم تقو على التكيف مع الجو ، وكان من الفتاة ان سعت في تعلم الايطالية عند احدى السيدات ، حتى اتقنتها . وراحت تطالع كل ما يقع تحت يدها وتهتم اكثر ما تهتم بتاريخ فلورنسا

www.ibtesamah.com/vb

والحياة الفنية عهد الانبعاث ، وفي ذلك الزمن تعرفت اليها ، إذ لقيتها في احد المتاحف الفنية ، واخذت اشركها في مطالعاتي ودراساتي وهي تشركني فيما تدرس وتبحث .

كانت آنذاك في الرابعة والعشرين ، وكنت اشارف الاربعين ، ولم تكن صلتي بها رغم كثرة اجتماعاتنا ، لتبلغ اسرار الحياة الشخصية ، وانما ظلت منحصرة في الشؤون العلمية والفنية . وكل ما اذكر منها انها كانت جميلة ، لطيفة ، وديعة ، تدخل السرور على قلب كل من يشاهد طلعتها المشرقة الصبوح ، ولم اشعر بالدهشة عندما حدثت عنها انها تحسن الرقص على نحو يستهوي الافئدة ويأخذ اللب ، وكان من الطبيعي ان تلاقي من يغازلها ويوجه اليها عبارات التمجيد والثناء ، بيد انها كانت رغم لطفها وسحرها ، تحمل الشبان الذين يتصلون بها ، على الترصن معها ، والوقوف عند حدود لا يتجاوزونها . وكان سرعان ما اكتشفت ان معظم اولئك الشبان يسعون وراء وارثة اميركية تعيد الى الاسرة التي ينتمون اليها ، ما فقدت من جاه وثراء ، وقد وجدتها قادرة على افهامهم ، ولكن بنعومة لا تبارى ، انها ابعد ما تكون عن الثراء ، فكانوا يتنهدون ، ويستمرون في مراقصتها ومغازلتها ، ولكن تطلعاتهم اليها تتحول عن كل تفكير في الزواج .

إلا ان ثمة فتى ايطالياً ، استمر في تعلقه بها واصر ، وما زال يصر حتى وفق إلى اقناعها بزيارة والده الكونت في قصره . حيث

www.ibtesamah.com/vb

كان يعيش بعيداً عن فلورنسا ، بعد ان ترمل ، ولا يذهب الى المدينة إلا فيما ندر ، ويعيش اكثر ما يعيش من كروم العنب والزيتون التي بقيت في يديه من ثروته الطائلة ، وكان في شبابه سفيراً لبلاده في انكلترا ، كما كان فيما حدثت عنه ، اجمل رجل في اوروبا، رغم انه ناهز الخمسين، ولم يتح لي ان أراه، وإنما هو صديقي الكولونل هاردنغ الذي وصفه لي، وأثنى على اسلوبه في اجتذاب النفوس ، وبراعته في التقرب من الناس والتحبب اليهم ، بنسبة ما اثنى على ترفعه وحسن تصرفه ، إذ كان يبدو ، وهو الفقير ، على جانب عظيم من عزة النفس ، وكرمها ، حتى لكأن المال في يديه شيء لا قيمة له .

اقنع إذن تيتو دي سابيترو — وهو الاسم الذي وضعته من عندي لذلك الفتى الايطالي ، فانا لا احب ان اشهّر به ، وهو المعروف لدى كل من قرأ تاريخ فلورنسا — اقنع لورا ووالدتها ان تزورا الكونت والده . وحين وصلتا الى قصره القديم ، وتعرفت مسز كلايتون اليه ، راحا يتحدثان مختلف الاحاديث ، إلى ان رسا الكلام على ذكر الثروة والاولاد ، فقال الكونت :

— سأكون صريحاً معك ! ليس لدي من الدنيا كلها سوى هذا البيت وما حوله من كروم قليلة . وليس في مستطاع ابني ان يقدم للفتاة التي يرغب في الزواج منها دانقاً ! غير انه ليس من طلاب الثروة ، وهو يحب ابنتك !

www.ibtesamah.com/vb

رق قلب السيدة ، وتأثرت لطريقتـــه في العرض ، ونعمت بعض الشيء ، ثم قالت :

ــ لسنا هنا في الامر ولا هناك ، فنحن لا نتدخل في زواج ابنائنا وبناتنا في اميركا . واذا كان تيتو يريد الزواج منها ، دعـه يسألها رأيها ، فاذا أبدت استعدادها لقبوله ، كان لها ان تقول ذلك بملء حريتها .

وفيما هما يتمشيان على الطريق نزلاً ، بصرا بالفتى والفتـاة ، وقد وضع كل منهما يده في يد الآخر ، واقبلا نحوهما ، وحين وصلا تقدم تيتو فقبل يد مسز كلايتون ، كما قبل اباه على الخدين ، ثم قال :

ــ ان لورا قبلت ، يا بابا ، ويا مسز كلايتون ، ان تكون زوجتي !

كان لهذا الخبر وقع رائع في اوساط المجتمـــع الفلورنسي ، وقامت حفلات التهنئة والتكريم للخطيبين على قدم وساق . وكان من الواضح ان غرام تيتو بعروسه يفوق تعلقها به ، رغم انـه كان شاباً جميل الوجه والقامة ، انيـق اللباس ، حسن العشرة ، ولكن كان الى ذلك ، مولعاً بالخمرة والقمار .

وتركت بعد ذلك فلورنسا ، وجرت حفلة الزواج في منزل صديقي هاردنغ ، فكانت حديث المجتمع لوفرة ما حضرهـا من اناس ، وما انفق فيها من طعام وشراب . واقام تيتو وزوجتـه في لونغارنو ، وعاد الكونت الهرم الى مقصورته الساحرة . ثم لم

www.ibtesamah.com/vb

ارجع الى فلورنسا قبل ثلاثة اعوام . وحين رجعت لم اقم فيها اكثر من اسبوع ، غير اني اقمت ثانية في ضيافة هاردنغ ، وسألت عن اصدقائي القدماء فيها ، وتذكرت لورا وامها ، فقالت بيسي ، زوجة هاردنغ :

ـ لقد رجعت مسز كلايتون الى سان ـ فرنسيسكو . ولورا وتيتو يعيشان الآن مع الكونت في قصره . وهما جد سعيدين .

ـ الم يأتهما اولاد ؟

ـ لا !

ثم تابعت حديثها باشارة لم ترضها من هاردنغ :

ـ تركا المنزل الذي استأجراه في لونغارنو، وانفقت لورا قسماً كبيراً من ثروتها في اصلاح القصر ، وتجهيزه باسباب الرفاهية الحديثة من حمام ، وتدفئة مركزية ، واثاث حتى حولته الى شبه جنة ، وخسر تيتو ثروة صغيرة في القمار ، وكان على المسكينة لورا ان تدفع .

ـ الم يحصل على عمل يدر عليه شيئاً ؟

ـ لم يحصل على شيء ، وبلغ نهايته .

فقاطع هاردنغ زوجته وقال :

ـ ان ما تعنيه بيسي انه احترق بناره ! وخلاصة القصة انهما وجدا من الافضل ان يتركا منزلهما، ويلتحقا بالقصر؛ وعلى هذا النحو تمنع لورا زوجها من المقامرة ، وتوفر على نفسها كثيراً

www.ibtesamah.com/vb

من المشاكل ، واذعن لها تيتو لأنه كان يعبدها ، وطار بها الكونت فرحاً ..

وتركت هاردنغ وزوجته الى لندن ، ورحت اراسله ، وهو يكتب الي يحدثني بكل ما يجري في محيطه ، وما يدور في حياته . وجاءتني منه بعد نحو من سنة رسالة يقول في آخرها ، بعد جولة في الحديث عن سائر الاصدقاء : « اظن انك سمعت بما جرى لآل سان بيترو . لقد زعزعنا الحادث الأليم الذي حل بهم ، ولا نستطيع ان نزيد على ذلك حرفاً واحداً .. ولورا تعيش في حالة من الضيق والبلاء .. وهي تنتظر طفلاً .. الشرطة تلح في استجوابها ، وهي لا تجد سبيلاً الى الخروج من المأزق العسير الذي ارتطمت فيه .. وكان ان احضرناها الى منزلنا ، وهي تقيم الآن معنا .. وتيتو ما يزال في السجن ، يترقب صدور الحكم ..

لم تكن لدي ادنى فكرة عما جرى ، فكتبت الى هاردنغ أسأله عما يعني بهذا الكلام ، فأجابني برسالة طويلة يخبرني فيها اخباراً مخيفة ، تميد لها الاعصاب :

كان من لورا ان انسجمت مع الكونت والد زوجها ، ونشأت بينهما صداقة ارتاح لها تيتو لا سيما وانه مخلص لأبيه ، مولع بامرأته . وقد سر اكثر ما سر ، لخروج والده عن عزلته ، وقدومه لزيارته في فلورنسا حيث كان يقضي بضع ليال في غرفة افردت له . وفي النهار يتجول مع كنته بحثاً عن التحف والأشياء

www.ibtesamah.com/vb

الأثرية . وكانت لورا تكتم حبها للحياة الزراعية، واعمال البستنة، والعناية بالنبات وتزيين الحدائق . ولكنها لم تظهر ذلك إلا حين بدأت مصاعب تيتو المالية تشتد يوماً بعد يوم ، فأوحت اليه بالانتقال الى مقصورة والده في الريف ، ولكنه — وهو الذي يحب حياة المدن — لم يرض ان ينتقل إلاّ تحت ضغط الحاجة والرغبة في الاقتصاد، فترك منزله مكرها، ثم اخذ يتسلى بسيارته، ويترك اباه وزوجته مستغرقين في اعمالهما الزراعية والمنزلية ، ليرتاد المدينة واندیتها وملاهيها ومرابع الأنس فيها .

ومرت عليه سنة ، واهل فلورنسا يغمضون عيونهم حين يبصرونه ، ويشيحون بوجوههم عنه ، وهو لا يعرف لهذا الاعراض سبباً يطمئن اليه ، او باعثاً يضع عليه يده . كان يخالجه ضرب من الشك الغامض ان تكون لورا قد فترت تجاهه عن ذي قبل في بعض الاحيان ، وفي احيان اخرى يلوح لعينيه ان اباه اصبح لا يطيقه ، وتارة يلمس ان لدى زوجته ووالده اسراراً يخفيانها عنه ، وانهما يقولان تارة اخرى ، ما لا يقوله حم لكنته، ولا تقوله كنة لحميها . وكان يلاحظ في طور ، النظرات التي توجهها الى ابيه ، كما يلاحظ ابتسامات ابيه لها في طور آخر .

اقام على هذه الحال يقلب في ذهنه هذه المودة « العميقة » بين زوجته ووالده ، ويحيل فكره ويحسب ، ويقدر ، ويدرس ، حتى خطر له ان يطلب الى زوجته مرة ان يعودا معاً الى فلورنسا ولكنه اصطدم بمعارضتها ، وكانت تبنيها على اسرافه وبذخه

www.ibtesamah.com/vb

ورغبتها في ابعاده عن القمار ، فلما ألح ، الحت هي في تبكيته ، فقال لها :

ـ لو كان لي ان اتزوّج ثروة ، لكنت بحثت عن فتاة اغنى منك !

اصفرت لورا ، ورمقت الكونت بنظرة معبرة ، فقال هذا :

ـ ليس لك اي حق في مخاطبة لورا بهذه اللهجة ! انت فتى سيء الخلق والتصرف !

ـ لي الحق في ان اخاطب امرأتي كما اريد .

ـ انت مخطيء : عليك ما دمت في منزلي ان تعاملها بما تستحق من احترام ، وما يفرضه عليك الواجب من أدب .

ـ عندما احتاج الى دروس في الادب ، اخبرك بذلك سلفاً يا والدي !

ـ انت وقح يا تيتو ! اطلب منك ان تترك هذا المكان حالاً ..

ترك تيتو المقصورة غاضباً ، وركب سيارته تواً الى فلورنسا حيث لعب وربح مبلغاً كبيراً ، ثم لم يعد إلا في صباح اليوم التالي ، فلم تظهر له شيئاً ، وظل والده بارداً .

غير ان العلاقات اخذت تسير من سيء الى اسوأ بين الأب وابنه ، ولورا لا تتدخل فيما بينهما .

www.ibtesamah.com/vb

وانقطع الكونت عن معاتبة تيتو ، او نصحه ، او تأنيبه ، بعد ذلك الشجار ، واصبح يعامله بصبر وتحمل واناة ، ايقن معها تيتو ان ذلك ناجم عن لورا ، اكثر مما هو عن طبع والده ، وحسب ان ثمة مؤامرة تحاك خيوطها ضده بين زوجته ووالده .. ولكن الأدلة على هذه الشكوك التي اقضت مضجعه ، وسلبته كل حياة ، لم تتوفر لديه في قليل ولا كثير ، وكان يزيد في عذابه ما يسمعه من لورا ، وهي تحضه على الذهاب الى فلورنسا ، والاستمتاع هناك والاجتماع الى اصدقائه ، مما حمله على القفز الى هذه النتيجة ، وهي انها تريد التخلص منه ليخلو لها الجو مع الكونت ..

واوغل يشرب ، ويشرب ، ويعب من الخمور القوية ويسهر حتى تحول مع الايام الى كتلة اعصاب متوترة . وراح يكظم غيظه ، وهو يبحث عن الدليل الذي يدين به اباه دون جدوى ، ويتحرى ما يكون من امره وامرها فيما إذا غاب ، ولكن عبثاً ..

وكان ان اشترى في احدى زياراته الى فلورنسا مسدساً ، وعزم على ان يقتلهما معاً إذا قيّض له الدليل القاطع على خيانتهما إياه ..

ثم لم اعرف كيف افضى به الامر الى الكارثة ، فكل ما ورد في الدعوى التي اقامتها النيابة العامة ضده ، انه ذهب ذات ليلة الى الغرفة التي ينام فيها والده ، وحمل معه مسدسه ، ودارت

www.ibtesamah.com/vb

بينهما مناقشة حادة ، سخر اثناءها الكونت من تيتو سخرية بالغة ، فما كان من هذا إلا ان اطلق عليه الرصاص فأرداه . . ثم هوى على جثمان ابيه يبكي بهستيريا مؤثرة ، وسمعت لورا والخدم الضجة ، فأقبل الجميع ، وحين رآهم بحث عن مسدسه يريد ان يقتل نفسه — على ما ورد في افادته — ولكنهم كانوا اسرع منه ، فحالوا دون ما يريد .

وبعد ان ارسل الى السجن ، كان يقضي ايامه فيه وهو يبكي . واعترف للمحققين بأنه قتل والده لأنه كان عشيق امرأته . وكان رد لورا على التهمة انها لم يكن بينها وبين حميها سوى المودة الطبيعية المشروعة ، واقسمت اكثر من يمين انها لم تعرف من الكونت سوى البراءة والطهارة ، ولكن الايطاليين كانوا يميلون الى تجريمها واصدقاءها من الانكليز والاميركان يشعرون انهـــا اعجز من الاقدام على مثل تلك الجناية . ويرفضون كل تهمة توجه اليها ، على اعتبار الفارق الكبير في السن بينها وبين الكونت من جهـــة ، وجمال زوجها وشبابه وشدة ولعه بها من جهة ثانية .

ووقف الدفاع عن تيتو يعلن سوء حالته العقلية ، ولكن النيابة العامة رفضت بالاستناد الى تقرير الخبراء هذه الحجة الـــتي اعترف بها ، وهي انه اشترى مسدساً قبل الجريمة بثلاثة اشهر . ثم تبين فيما تبين انه كان غارقاً في الديون ، وان دائنيه كانوا يلحون عليه بايفائهم مالهم في ذمته ، وان الوسيلة الوحيدة ، التي كان يعدهم

www.ibtesamah.com/vb

بها ، هي بيع المقصورة التي يسكنها والده ، وبهذا يكون موت ابيه سبباً في إرث كاف لسد ديونه .

لم يكن في ايطاليا قانون يقضي بالاعدام ، ولكن القتل عمداً ، يؤدي بالقاتل الى السجن المؤبد . فلما اقترب موعد المحاكمة ، جاء محامو الدفاع يخبرون لورا ان الطريقة الوحيدة التي يمكن بها إنقاذ تيتو من هذه العقوبة ، إنما هي ان تعترف امام القضاة في المحكمة بان الكونت كان عشيقها ، فوجمت لذلك واصفر لونها ، واحتج هاردنغ — وهي التي كانت تقيم في منزله — احتجاجاً عنيفاً على المحامين ، ورد قولهم بان ليس من حقهم ان يحملوها على إهانة نفسها ، والإساءة إلى شرفها وسمعتها ، لانقاذ هذا المأفون السكير المقامر الذي حكم عليها سوء طالعها بان تكون زوجته .

سكتت لورا برهة من الزمن ، ثم قالت :

— حسن ! إذا كانت هذه هي الطريقة الوحيدة لانقاذه ، فاني اتبعها !

وحاول هاردنغ ان يفسخ عزيمتها ، ولكنها صممت . ولا يثنيها احد ، ثم قالت :

— لن اعيش بعد لحظة أمن وسلام ، إذا كان على تيتو ان يقضي عمره وحيداً في زنزانته ، بسبب من تقاعسي عن نصرته في هذه الساعة !

www.ibtesamah.com/vb

وهذا ما حدث ، فقد بدأت المحاكمة ، ونودي على لورا ، فأقسمت اليمين انها تقول الصدق ، وقررت ان حماها كان عشيقها منذ اكثر من سنة . وصدر الحكم باعتبار تيتو غير سليم عقلياً ، وارسل الى مصح المجانين . واخيراً تركت لورا فلورنسا ، بعدان وضعت طفلاً لم يعش اكثر من اربع وعشرين ساعة .

هذا ما حدثني به هاردنغ ، ولكن زوجته بيسي قالت لي :

ـ قبل ان تغادر لورا فلورنسا وجدتها في حالة ضعف وتدهور صحي غير عادي ، فظننت انها تألمت لفقد طفلها ، وقلت لهـــا : « ليس لك ان تهتمي كثيراً لفقد طفل كان من الأفضل ان يموت ! تصوري ما يكون موقفه إذا علم انـه ابن قاتل ! » فردت علي وهي تحدجني بنظراتها الهادئة : مـا الذي يدعوك الى التفكير في ان اباه كان قاتلاً » .

وقالت بيسي : « احمر وجهي لدى سماع كلامها خجلا ، ولم اصدق ما سمعته ، فسألتها :

ـ لورا ؟ ماذا تعنين ؟ لقد كنت في المحكمة !

ـ اما سمعتني اقول لهم : كان الكونت عشيقي !

تلك هي المرأة التي سأتناول عشائي مع زوجها الجديـد في الساعة السابعة من مساء ذلك اليوم وهذه هي قصتها .

وصلت الى بيتها مع صديقي ويمان ، فلم اجـــد لديها أثراً واحداً من آثار حياتها الماضية ، كأنها ارادت ان تغرق وجودها

www.ibtesamah.com/vb

كله في اثاث جديد ، وجو جديد ، وعالم جديد ، فوفقت الى ما ارادت ..

اما زوجها فراح يحدثنا عن ضآلة العواطف القوية في الأدب المسرحي الحديث ... وانا اتأمل لورا وافكر فيما عسى تراه من صحة في حديث زوجها .. فان قصتها من اروع ما يصح ان يهتدي اليه شاعر مسرحي مثل شكسبير ..

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر نوفمبر 2019

www.ibtesamah.com/vb

- ٣ -

منزل

كانت المزرعة قائمة في واد وسط روابي سمر ستشاير ، وهي عبارة عن بيت حجري من الطراز القديم ، تحيـــط به مخازن المحصولات وحظائر الماشية والحجرات القائمـة في طرف الدار ، وقد نقش على مدخلها تاريخ بنائها في صور ذلك العصر الانيقة ، اي عام ١٦٧٣ ، وكان البيت الاشهب الاسفع يبدو كأنه جزء من المنظر الطبيعي ، شأنه في ذلـــك شأن الاشجار التي تظلله . وهناك جادة تنساب وسط صفين من شجر الدردار الرائع كانت تشكل مفخرة صاحب الدار ، وتفضي من الطريق الى الحديقـة الانيقة .

وكان ساكنو هذه المحلة كهذا البيت في صلابتهم وغبـاوتهم وتواضعهم ، وكل ما يفخرون به منـــذ بني حتى اليوم ، انهم عاشوا فيه بلا انقطاع ، اباً عن جد ، وفيه كانوا يموتون . وقـد مرت عليهم ثلاثة قرون وهم يقومون بفلاحة الارض المحيطة به ، وها هو جورج ميدوز ينـاهز الآن الخمسين من عمره ، وامرأته

www.ibtesamah.com/vb

تصغره بسنة او سنتين فقط ، وكانا في صباهما من اجمل الناس، واحسنهم حالاً ، كما كان اولادهما : غلامان وثلاث بنات ، من اجمل الاولاد واقواهم . ولم يخطر لهم قط ان سعوا وراء المظاهر الكاذبة ، والمطامح المرهقة في الجاه والشهرة ، وانما كانوا يعرفون مكانهم من الحياة ويعتزون به ، ويستقبلون الدنيا بمرح ، واجتهاد ولطف . وكان نظامهم ابوياً ، ولا اعرف أسرة متآلفة ، متحدة مثل تلك الاسرة ، فقد كان لحياتها من الكمال والانسجام ما يجعلها جميلة كما كانت سنفونية لبيتهوفن ، او لوحة من صور تيتيان . كانت سعيدة وتستحق السعادة التي تتمتع بها .

غير ان رب البيت لم يكن جورج ميدوز (لم يكن هو السيد بحال ، كما يؤكد اهل القرية) وانما هي امه التي كانت صاحبة الكلمة العليا ، والشائع انها كانت تساوي رجلين اثنين من طراز ابنها ، على انها امرأة في السبعين ، وكانت طويلة ، منتصبة القامة ، وقورا ، ولها شعر اغبر ، ووجه كثير الغضون ، ولكن عينيها كانتا تأتلقان رغم الفضول ، ويشيع فيهما الحذق والدهاء . واذا قررت امراً نفذ كأنه القانون ، سواء في شؤون المزرعة او البيت ، بيد انها كانت ساخرة الى ذلك ، مما يجعل سلطتها خفيفة الوقع على النفوس ، وان كانت مستبدة في حكمها. وكان الناس يضحكون لنكتها ويرددونها فيما بينهم . وكانت ايضاً امرأة اعمال حاذقة ، واذا كان لك ان تتغلب عليها في صفقة او مساومة ، يصبح من واجبك ان تنهض في الصباح الباكر ،

www.ibtesamah.com/vb

فقد كانت من ذرات العزم والبأس ، إذ استطاعت ان تجمع في شخصيتها مزيجـــاً نادراً من الادارة القوية وحس العبث المرهف .

وفي ذات يوم اوقفتني مسز جورج خلال مسيري الى البيت ، وكانت في ذروة الانهاك والاضطراب ، وكانت حماتهـــا هي الوحيدة التي تعرف باسم مسز ميدوز ، ولا تعرف امرأة جورج إلا بانها مسز جورج ، وسألتني ثم اجابت عن سؤالها قائلة :

ـ من ترى تحسب انه قدم اليوم ؟ لقد جـــاء العم جورج ميدوز ، لو تعرف ! جـــاء بذاته وهو الذي كان في الصين !

ـ ماذا ؟ كنت احسب انه مات !

ـ كلنا كنا نحسب انه مات .

وكنت قد سمعت قصة العم جورج ميدوز نحـواً من عشر مرات ، وكنت آنس بها ، لأنها في عذوبة اغنية قروية قديمـة . وكانت من سحر التأثير بمنزلة يعسر معها التصديق انها احـــدى وقائع الحياة الصحيحة ، وذلـــك لأن جورج ميدوز واخاه الاصغر توم ، كانا قد عشقا معاً السيدة ميدوز يوم كانت بعـد آنسة تحمل اسم إميلي غرين ، اي قبل خمسين سنة وما ينيـف عليها ، وعندما تزوجت توم ، ركب جورج البحر بعيداً ، بعيداً ..

ولم يعرفوا من أمره إلا انه يعيش على ساحل الصين ، وكان

www.ibtesamah.com/vb

منذ عشرين سنة يرسل اليهم الهدايا بين وقت وآخر ، ثم انقطعت من بعد اخباره ، حتى إذا مات توم ميدوز كتبت ارملته تخبره، ولكنها لم تتلق منه جواباً ، حتى قر في روعهم اخيراً انه قضى نحبه ، ولكن جاءتهم منذ يومين او ثلاثـــة رسالة من رئيسة الممرضات في مستشفى البحارة ببورتسموث تخبرهم فيهـا ان جورج ميدوز اصيب ، فيما يبدو، منذ عشر سنوات بالروماتزم، وهو الآن يقيم عندها ، ومذ شعر انه لم يبق لديه سوى القليل من العمر ، اراد ان يشاهد البيت الذي ولد فيه قبل ان يفارق هذه الدنيا . وذهب ابن اخيه الأكبر البرت ميدوز الى بورتسموث يبحث عنه في سيارة فورد ، وعاد الى المنزل ، فوصل بعد ظهر ذلك اليوم . وقالت المسز جورج :

ـ انها قصة اغرب من الخيال ! لقد مضى على غيابـه اكثر من خمسين سنة ، ولم يسبق له قط ان شاهد جورج الذي سيكون في عيد ميلاده الحادي والخمسين بعد قليل .

سألتها :

ـ وما هو رأي المسز ميدوز في ذلك ؟

ـ حسن ! انت تعرف من هي ! لقد جلست هناك وراحت تبتسم لنفسها . وكل ما قالته : « كان شاباً جميل الطلعة عندمـا غادر المنزل ، ولكنه لم يكن مستقراً مثل اخيه . والمحتمل ان يكون الآن قد هدأ واستقر ، ولهذا اختـــارت والد جورج .

www.ibtesamah.com/vb

وطلبت إلي مسز جورج ان ازورهم واشاهده . وقد فكرت ، وهي القروية الساذجة التي لم تسافر الى ابعد من لندن، في دعوتي الى منزلها لأننا كلينا كنا في الصين ، فلا بد وان يكون ثمة ما يجمعني به على صعيد واحد ، وقبلت دعوتها بطبيعة الحال ، وذهبت فوجدت الاسرة كلها مجتمعة حين وصلت ، وكان افرادها جالسين في المطبخ الكبير العتيق ذي الارض الحجرية ، وكانت مسز ميدوز فوق كرسيها المعتاد قرب الموقد منتصبة، وأنست لمرآها حين وجدتها لابسة اجمل ثيابها الحريرية بينما كان ابنها وزوجته يجلسان مع اولادهما حول الطاولة . وكان في الجانب الآخر من الموقدة شيخ هرم متهدل فوق كرسيه ، غاية في النحافة ، وجلده معلق على عظامه كأنه ثوب عتيق اوسع من لابسه ، ووجهه متغضن اصفر ، وقد سقطت كل اسنانه تقريباً .

تقدمت فصافحته ، وقلت :

ـ حسن ! انا مسرور من ان أراك هنا بخير وعافية ، يامستر ميدوز .

فاصلح كلامي :

ـ يا كابتن !

وقال لي البرت ابن اخيه الاكبر :

ـ كان يتمشى هنا ! وكان عندما يبلغ الباب الكبير ، يوقف العربة ، ويقول : اريد ان امشي .

www.ibtesamah.com/vb

ـ وتذكروا اني لم اغادر سريري منذ سنتين . لقد حملوني ووضعوني في السيارة . وحسبت انني لن استطيع بعد ان امشي ابداً ، غير اني شعرت بالقدرة على المشي حين رأيت اشجار الدردار ، وتذكرت والدي وهو يعنى بهذه الأشجار . وقد مشيت هذه المسافة نزلا منذ اثنتين وعشرين سنة ، عندما ذهبت بعيداً وتركت المنزل ، وها عدت ومشيتها ثانية .

فقالت مسز ميدوز :

ـ كنت اسمي ذلك « غباوة » !

ـ لقد افادتني هذه التسمية . وانني لأشعر الآن بأنني اقوى واحسن حالاً مما كنت قبل عشر سنوات وانني سأراك بعدخارج هذا المنزل يا إميلي !

اظن ان احداً لم يدع مسز ميدوز باسمها الأول ـ إميلي ـ منذ جيل كامل . وقد دهشت لهذه الحرية التي تخولها ذلك الشيخ الهرم في مخاطبتها . وكانت هي تنظر اليه بعينيها الماكرتين ، وهو يتحدث اليهامكشرا عن فم خلا من الأسنان . وكان من الغرابة بمكان ان نرى الى هذه المخلوقين اللذين لم يشهد احدهما الآخر منذ نصف قرن ، وان تفكر في هذا الأمر ، وهو ان ذلك الرجل قضى تلك المدة المتطاولة من عمره وهو يحبها ، وانها كانت تحب رجلا غيره .

ورحت اتساءل متحيراً عما إذا كانا يتذكران مشاعرهما آنذاك ، وعن الأشياء التي قالها كل منهما للآخر . وعجبت ان

www.ibtesamah.com/vb

يكون قد ترك منزله لأخيه من اجل هذه المرأة ، ولم يبال بميراثه الشرعي ، ولا بأمر من امور حياته ، وعاش منفياً بعيداً ، وتساءلت عما اذا كان يجد في ذلك الآن ما يدعو الى التعجب والاستغراب ، فقلت له :

ـ هل قضيت عمرك كله عزبا ، ام تزوجت مرة يا كابتن ميدوز ؟

اجابني بصوت متهدج ، وكشر عن لثة خاوية :

ـ لا ! لست انا الذي يتزوج ! فانا اعرف عن النساء الشيء الكثير ، وذلك ما يحول بيني وبين الزواج !

فردت مسز ميدوز بقوة :

ـ هذا هو ما تقوله بلسانك ! ولو كان للحقيقة ان تعرف لأخبرتك اني لم أشعر بالدهشة حين سمعت انك كنت تقتني نصف دزينة من الزنجيات السوداوات في اليوم الواحد.

ـ انهن غير سوداوات في الصين يا إميلي ، وكان عليك ان تعرفي انهن صفراوات.

ـ ربما كان ذلك هو السبب في انك اصبحت انت بادي الاصفرار هكذا ، فانني عندما رأيتك قلت في نفسي : لا بد انه اصيب باليرقان !

ـ كنت قد اعلنت انني لن اتزوج غير إميلي ، ثم وفيت بما قلت يا إميلي !

www.ibtesamah.com/vb

قال ذلك من غير حقد او استعطاف ، وانما كان يقرر واقعاً وقع ، ويرويه كرجل مالك أسباب رجولته ، ثم تابع :

ـ وقلت : انني مشيت عشرين ميلًا ، وقد مشيتها فعلًا !

وبدا في لهجته الارتياح والرضا عن النفس ، فأجابته مسز ميدوز :

ـ حسن ! لو انك تزوجت لندمت !

وتحدثت قليلًا إلى الشيخ عن الصين ، فقال لي :

ـ ليس ثمة من مرفأ في الصين إلا وانا اعرفه اكثر مما تعرف جيبك ، وما من مركب يذهب الى شواطئها إلا وكنت حيث يذهب . وفي مستطاعي ان اسرد على مسامعك الاشياء التي شاهدتها طيلة ستة اشهر ،على ان استغرق اليوم بأكمله في الحديث، دون ان انتهي ، او اسرد لك كل ما شاهدت .

قالت مسز ميدوز ، والابتسامة الساخرة لا تفارق نظرتها اللطيفة العابثة :

ـ حسن ! هنالك شيء واحد لم تستطع ان تقوم به يا جورج فيما أرى ، وهو ان تجمع ثروة .

ـ لست ممن يوفر المال ويدخره ! كنت أناله وانفقه ،وذلك هو دأبي وشعاري !

www.ibtesamah.com/vb

غير ان هنالك شيئاً واحداً استطيع ان اقوله لنفسي :

إذا كان لي ان احيا حياة ثانية ، فاني سأعود الى حياتي نفسها ، وآخذها كما هي . وليس في الدنيا كثير من يستطيع ان يقول ذلك .

— هذا صحيح !

قلت له ذلك وانا انظر اليه باعجاب واحترام . لقد كان أدود (بلا أسنان) ، منحني الظهر ، هرماً ، فقيراً ، لا يملك شروى نقير ، ولكنه وفق إلى الحياة ، لأنه استمتع بها . وعندما فارقته ، طلب إلي ان اعود اليه في اليوم التالي ، فإذا كانت الصين تهمني يقص علي كل القصص التي أود سماعها .

وفي الصباح فكرت في الذهاب اليه والسؤال عما اذا كان يرغب في مقابلتي ، فرحت اتمشى على طريق اشجار الدردار ، وعندما وصلت الى الحديقة ابصرت مسز ميدوز وهي تجمع الأزهار ، فحييتها ، فنهضت وفي يدها باقة ضخمة من الزهر الابيض ، ورمقت البيت بنظرة ، فرأيت مصاريع الزجاج في الشبابيك مغلقة ، وقد اسدلت عليها الستائر ، فعجبت لذلك ودهشت اذ كنت اعلم ان مسز ميدوز تحب نور الشمس عند الشروق وهي التي كانت دوماً تقول :

www.ibtesamah.com/vb

« لديك كثير من الوقت ، لتعيش في الظلام ، حين تكون مدفوناً » فسألتها :

ـ كيف الكابتن ميدوز ؟

ـ لقد كان ابداً ودائماً رجلاً طائشا متهوراً . عندما ذهبت ليزي تحمل اليه هذا الصباح ، قدح الشاي ، وجدته ميتـــاً في فراشه !

ذلك ما اجابتني به ، فسألتها واجماً :

ـ ميتاً ؟

ـ نعم ! مات وهو نائم ! وقد جئت اجمع هذه الأزهـــار لأضعها في غرفته وانا الآن مسرورة لأنه قضى نحبه في هذا البيت العتيق .

وكان آل ميدوز يجدون دوماً معنى خاصاً حين يموتون على هذه الصورة .

وكانوا قد وجدوا صعوبة كبرى في اقناعه بالذهـــاب الى الفراش .

وحدثهم قبل ان ينام عن كل ما جرى له في حياتـــه الطويلة .

وكان سعيداً في العودة إلى بيته القديم ، وفخوراً بأنـــه مشى الطريق كلها دون معونة احد ، ويباهي بانه سيعيش بعـد

www.ibtesamah.com/vb

عشرين سنة .

ولكن القدر كان لطيفاً به ، إذ كتب الموت له نقطةالنهاية في اللحظة المناسبة .

ونشقت مسز ميدوز الازهار البيض التي كانت تحملها بين ذراعيها ، وقالت :

— حسن ! انا سعيدة بعودته .فبعد ان تزوجت توم ميدوز، ورحل جورج ، ظل الواقع مكانه ، وهو انني لم اكن قط على يقين تام « من انني تزوجت افضلهما . »

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر نوفمبر 2019

www.ibtesamah.com/vb

- ٤ -

الرسالة

كانت الشمس محرقة ، والرصيف يعج بالسيارات من كل جنس ولون ، والعربات تروح وتجيء بسرعة ، والباعة يرفعون اصواتهم بالمناداة على بضائعهم، فلا تسمع إلا صخباً ولغطاً مختلطاً لا تدرك منه شيئاً ، ولا تعي معه من امرك شيئاً ، وذلك لان سنغافوره ملتقى مائة شعب وشعب ، ترى في اسواقها اناساً من جميع الألوان : التاميل السود ، والصينيين الصفر ، والملايوزيين السمر ، والأرمن واليهود ، والبنغاليين ، وكلهم يتصايحون بلهجات مختلفة ، تحت وطأة الحر الشديد .

غير ان مكتب السادة رايبلي وشركاه جويس ونيلور كان في داخله منعشاً بارداً ، تحس إذا ولجته بشيء من العتمة والهدوء حيال صخب الشارع وشعشعان حرارته ، كما تحس بالامن والطمأنينة .

وفيما كان السيد جويس جالساً في غرفته الخاصة وراء طاولته يتلقى هواء المروحة الكهربائية المصوبة نحوه ، ويحدق في

www.ibtesamah.com/vb

مجلدات القانون المصفوفة على الرف سمع قرع الباب ، فصاح :

ـ ادخل .

وانفتح الباب عن صيني تكلم الانكليزية بذلاقه وفصاحة :

ـ هل المستر كروسبي هنا ؟

كان اونغ ـ شي ـ سنغ محامياً متدرجاً ، وقد قضى نحواً من سنتين يتلقى تمريناته في مكتب رايبلي وشريكيه ، على حسابه الخاص ، وعرف خلالها باجتهاده ، وطيبة قلبه وحسن سيرته .

فقال جودي :

ـ إبحث عنه في الداخل .

وكان ان لقيه ، فنهض المستر كروسبي يسلم على زائره ، وبقي جويس في الظل ، صامتاً كعادته .

ونظر الزائر الى المستر كروسبي دون ان يتكلم ، وإنما راح يحدق فيه برهة ، حسبها جويس طويلة فخاطب المستر كروسبي الذي بدا منهمكاً ، بقوله :

ـ تبدو كأنك لم تنم منذ ليلة او ليلتين !

ولحظ جويس ما لم يكن يلحظ من قبل : القبعة الموضوعة على الطاولة ، ولباس الكاكي القصير الذي كان يلبسه كروسبي ، والاكمام القذرة عند معصميه ـ كان كروسبي زارع مطاط في

www.ibtesamah.com/vb

قرية نائية ـ والشعر الكثيف الظاهر على فخذيه ، فأجابه كروسبي :

ـ الحقيقة اني لم انم !

ـ عليك ان تشد عزمك ، وان تحتفظ بهدوئك وصفاء ذهنك .

ـ اني على احسن ما يرام .

ـ هل رأيت زوجتك اليوم ؟

ـ لا .. سأراها بعد الظهر . لقد كان من العار ـ كما ترى ـ ان يلقوا عليها القبض ويودعوها السجن !

ـ أظن ان من واجبهم ان يفعلوا ذلك .

ـ كان من رأيي ان يخلوا سبيلها بكفالة.

ـ ولكن التهمة الموجهة اليها جد خطيرة .

ـ ماذا ؟ لقد فعلت كل ما يمكن لامرأة شريفة ان تفعله لو وقعت في مأزقها . صحيح انها كانت جريئة ، ولكن جرأتها تثير اعجاب الشرفاء وتستدعي الثناء . ان ليزلي افضل امرأة في العالم ، وما كان لها قط ان تؤذي نملة او ذبابة . انا اعرفها جيداً ، ومضى على اقتراني بها زهاء اثنتي عشرة سنة . اتحسب انني لا اعرفها ؟ !

لو اتيح لي ان اقبض على ذلك الرجل وفي ذلك الموقف ، لذبحته من الوريد الى الوريد ، دون ادنى تردد . ولو كنت انت مكانها لفعلت الشيء نفسه !

www.ibtesamah.com/vb

ـ الناس كلهم بجانبك يا عزيزي ، وما احد يستطيع ان يقول كلمة طيبة بحق هاموند . وسنسعى لإخلاء سبيلها في اقرب وقت . ولا اظن ان لدى النيابة العامة او القاضي او المستشارين ما يحملهم على اصدار قرار بعدم براءتها .

وتحمس كروسبي هنا ، وقال بلهجة عنيفة :

ـ الامر كله لا يعدو ان يكون مهزلة سخيفة تافهة . كان ينبغي ان لا يلقي عليها القبض في اول منزلة ، ثم ان من الاهانة لسيدة مثلها ان تتعرض لدعوى من هذا القبيل ، فانا لم أشهد في طول سنغافوره وعرضها رجلًا او امرأة إلا ورأيته يبرر فعلة ليزلي . وانه لمن الظلم الابقاء عليها في السجن طيلة هذه الاسابيع .

ـ القانون يا صاحبي هو القانون ! وقد اعترفت انها هي التي قتلت الرجل ! هذا مخيف ، واني لاشعر بغاية الأسف واتألم من اجلك واجلها على السواء !

فقاطعه كروسبي :

ـ ذلك أمر لا يهمني في شيء ابداً .

ـ ولكن الواقع هو ان القتل حصل ، ولا سبيل الى تجنب الدعوى في مجتمع متحضر .

ـ انه قتل حصل للقضاء على دويبة سامة . وقد اطلقت عليه الرصاص كما تطلقه على كلب اصابه الكلب .

www.ibtesamah.com/vb

استوى المستر جويس في جلسته على كرسيه، وشبك اصابع يديه على الطاولة ، وسكت هنيهة يفكر، ثم قال بهدوء:

ـ لا اريد ان اكون مخادعاً لك ، وانا مستشارك القضائي . واذا انا لم اقل لك ما اشعر انبني ضميري .

هنالك نقطة تبعث على القلق ، فلو ان امرأتك اطلقت على هاموند رصاصة واحدة ، لكان الامر في غاية الوضوح والسهولة ، ولكنها لسوء الحظ اطلقت عليه ست رصاصات .

ـ التفسير الذي قدمته بسيط في غاية البساطة . كل امريء او امرأة يقف موقفها يفعل الشيء نفسه !

ـ استطيع ان ارى في هذا التفسير ـ وانا المحامي ـ شيئاً معقولاً . ولكن ليس من الحكمة ان نغمض اعيننا عن الوقائع ! وإذا كان من حسن الرأي ان يتصور المرء نفسه دوماً في موقف غيره، فانني لا املك اذا طلب الي المرافعة عن الحق العام إلا ان اثير هذه النقطة ، وعندها اتشدد .

ـ هذه ـ يا صاحبي ـ غباوة منك فائقة !

توجه المحامي الى مخاطبه بنظرة حادة جافة ، وعامت على شفتيه ابتسامة هزء سيطر عليها ، فهو يعرف ان كروسبي طيب القلب ، ولكن يصعب القول عنه ، انه ذكي ، ثم اجاب :

www.ibtesamah.com/vb

ـ يمكن ان نرى في تلك النقطة شيئاً خالياً من كل اهمية . ولكنني افتكرت بانها تستحق الذكر . ولم يبق ان تنتظر بعد طويلاً ، ومتى انتهت الدعوى ، اوصيك ان تذهب برحلة استجمام الى مكان بعيد مع زوجتك ، كي تنسيا كل ما حدث . ونحن وان كنا متأكدين من انها ستخرج بريئة ، نجد دوماً ان مثل هذه القضايا تحتاج عند نهايتها الى قسط كبير من الاستجمام .

ابتسم كروسبي لأول مرة ، وظهرت على وجهه طلاوة البشر وعذوبة الفرح ، ثم قال :

ـ اظن اني في حاجة الى الراحة اكثر من ليزلي. انها ـ والحق يقال ـ اعجوبة من الاعاجيب في رباطة جأشها ، وجرأتها .

ـ نعم ! لقد دهشت لهدوء اعصابها وتمالكها . وما كان يخطر ببالي قط انها تتمتع بمثل ذلك العزم والمضاء .

لقد كان من واجبه كمحام عنها أن يقابلها عدة مرات منذ اعتقالها ، وعلى الرغم من الجهود التي بذلها في تخفيف آلامها ، وادخال الطمأنينة على قلبها ، فقد كان وجودها في السجن ، مجرد وجودها هناك بانتظار محاكمتها لاقدامها على قتل رجل يفعمها رعباً ، ويفعم زوجها قلقاً . وقد قضت مدة اعتقالها وهي تطالع وتشتغل اشغال الابرة ، وعندما قابلها المستر جويس في سجنها ،

www.ibtesamah.com/vb

دهش لقدرتها على السخرية ، وهي تعرض له المأساة التي وقعت باسلوبها الهادىء ، وفي موقفها الخطير الحرج . ولم يكن يتصور ـ وقد سبق له ان عرفها من قبل ، إذ كانت تزور زوجته كلما قدمت الى سنغافوره ـ انها بتلك الدرجة من الذكاء ، وتوقد الذهن وسرعة الخاطر .

القصة التي سردتها على مسامعه ، في اول مقابلة ، لم تختلف قط في شيء عما روته من بعد ، ولا تناقضت قط في تفصيل من التفاصيل اية كانت ضآلته . لقد سردتها بعد الحادثة ، كما سردتها عند التحقيق ، وكما تسردها بكل برود . وكانت لهجتها واحدة عند ذكر الوقائع ، ولم يظهر عليها شيء من الارتباك سوى ان خديها كانا يحمران عندما تبلغ في سردها نقطة او نقطتين من تطورات القصة .

وكانت تبدو انها آخر امرأة يمكن ان يحدث لها مثل الحادث . فهي في بواكير العقد الثالث من عمرها ، رقيقة المزاج ، وادعة ، لا طويلة ولا قصيرة ، اقرب الى الملاحة منها الى الوسامة ، هيفاء ضامرة البطن ، ناحلة ، حتى لتستطيع ان تشاهد شرايين معصمها وعظام يدها من خلال جلدها الابيض . اما وجهها فما كان ذا لون خاص ، وشفتاها شاحبتان ، وليس لعينيها عبارة تختصان بها ، وشعرها الاسمر يتماوج بهدوء من غير الق . اذا لمسته تهاوى وانتثر ، ولا يخطر ببالك ان السيدة كروسبي تلجأ الى مثل هذه

www.ibtesamah.com/vb

الحيل والنظريات المصطنعة . ولم تكن تتمتع في محيطها بشيء من الشعبية ، بسبب من حياتها الشديد وميلها الى اعتزال الناس . واذا انت تحدثت اليها عجبت لسعة اطلاعها وكثرة الاشياء التي تعرفها . الخلاصة انها كانت آخر امرأة يتوقع عارفوها ان تقدم على جريمة قتل .

غير ان قضيتها كانت حديث الناس كلهم في تلك المنطقة ، وموضع تعليقاتهم ، ومثار اهتمامهم من سنغافوره الى بنيانغ ، فلا يلتقي اثنان الا ويعرضان لذكرها ، ويجيلان النظر في امرها . وكانت الوقائع التي قدمتها السيدة كرسبي غاية في البساطة : لقد ذهب زوجها الى سنغافوره في اشغاله ، وكانت وحدها اثناء الليل . تناولت عشاءها في التاسعة إلا ربعاً ، وجلست في غرفة عملها تحيك بالابرة بعض الاصواف . نام الخدم في الطابق السفلي من المنزل . ثم لم يرعها شيء كسماع وقع خطوات فوق حصباء الحديقة ، وكان القادم ، فيما يسمع وقع خطوه ، رجلاً ابيض اللون ، من ابناء جلدتها ، وقد ادهشها ان يأتيها زائر في مثل تلك الساعة من الليل .

ارهفت سمعها فاذا بهذا القادم يصعد الدرج الذي يفضي الى المنزل ، ويتخطى الطنف (الفيراندا) ويظهر في باب الغرفة حيث كانت تجلس . لم تعرف القادم لاول وهلة ، حتى اذا سمعته يقول :

www.ibtesamah.com/vb

ـ « هل لي ان ادخل ؟ » نزعت نظارتيهـــا ، ورفعت ظلة المصباح ، وسألت : « من ؟ » فـكان الجواب : « انا ! جوف هاموند » ، فقالت :

ـ ادخل لا بأس عليك .

ثم قدمت له الشراب ، بعد ان صافحته ، وقد ادهشها ان تراه ، وهي التي لم تكن على معرفة وثيقة به ، وكل ما تعلم انه يقيم في مزرعة مطاط على بعد ثمانية اميال من مزرعة زوجها ، وتحيرت في سرها عن السبب الذي دعاه الى اختيار تلك الساعـة لزيارتها . ثم قالت له :

ـ روبرت غائب . وكان عليه ان يذهب الى سنغافوره في بعض اشغاله .

ـ انا آسف ! شعرت الليلة بأرق ووحدة وضجر ، فاحببت ان ازوركم ، واسأل عن احوالكم .

ـ كيف قدمت ؟ لم اسمع ضجة ولا صوتاً لسيارتك !

ـ تركتها على الطريق بعيداً . وكنت احسب انكم نائمون ، فلم اشأ ان ازعجكم .

وقد وجدت السيارة صباح يوم الجريمة بالفعل على بعد ربـع ميل من المنزل . وكان لجوف هاموند اكثر من صديق وصديقة في المستعمرة ، يتنقل فيما بينهم كل ليلة ، وهو الذي اجتـاز عتبة صباه ، واوشك ان يكتهل . لم يتزوج ، وقضى ايامه في اتحـاد

www.ibtesamah.com/vb

الولايات الملايوزية يرقـــص ، ويلعب البيليارد ، ويتفوق في التنس ، وقد جرح في ركبته ايام الحرب ، فانقطع عن الرقص والتنس ، ولكنه ظل محبوباً في محيطه ولدى معاشريه بما اتيح له من خبرة وتجربة ، وأوتي من براعة في الكلام وحسن التصرف . وكان عيبه الوحيد تعلقـــه بالنساء ، وولعه بالفتيات .. وكثيرات منهن اللواتي كن ينتظرن ان يناله السوء من جراء ذلك .

وعندما اطمأن به المجلس لدى ليزلي ، وتناول الكأس الثالثة من الويسكي ، أخذت السيدة كروسبي تشعر فيما يلقي اليها من كلمات ، ويوجه من عبارات ، بمعان كرهتها ، وصور ادخلت الرعب الى قلبها ، وكانت تحاول اول الامر ان ترده الى الصواب وتلزمه بالاحتشام . ولكنه راح يهتاج ورويداً رويداً . ويحاول ان يمسك بيدها ، ويغازلها ، وهي تصده برفق . وعندما باح لها بغرامه ، عجبت انها وقد مضى عليها سبع سنوات ، وهي تعرفه لم تلحظ شيئاً على مسلكه ، ولا القت من قبل اليه بالاً . كل ما تذكر انه عندما سقط جريحاً اثناء الحرب ، ذهب اليه زوجها روبرت وأتى به الى منزله ، حيث عاش قرابة اسبوعين ، في رعاية ليزلي وعنايتها ، بيد ان معرفتها اياه لم تنقلب يوماً من الايام الى صداقة ، ولا خطر لها ان تتحول الى حب .

ثم كان منه ، وقد لعبت الويسكي برأسه ، ان زحف نحوها زحفاً ، فنهضت من مكانها واقفة وصاحت به :

www.ibtesamah.com/vb

ـ اذا انت لم تغادر هذا المكان في هذه الدقيقة ، حملتـــك والقيت بك شلواً الى الكلاب .

وخطت نحو الطنف في حركة سريعة ، بحيث يسمع صوتها الخادم اذا نادته ، ولكنه امسك بذراعها ، وحين صرخت : « يا « يا غلام ! يا غلام ! » اطبق بكلتا يديه على فمها ، وراح يقبلها ، وهي تبذل كل ما في وسعها للافلات من قبضته ، والحنق يغلي في صدرها ، والرعب يجتاح كيانها . ثم حملها الى سريرها ، ولكن ركبته المريضة لم تمكنه من متابعة سيره مع حمله الثقيل وسكره الاثقل ، فسقط على الأرض ، وتمكنت في تلـــك اللحظة من استلال نفسها من بين ذراعيه ، واسرعت نحو الصوفا ، ثم لم تعرف ماذا حدث لها على الاثر ، ولا كيف حدث . لقد وجدت مسدس روبرت في جارور مكتبه القائم قرب الصوفا ، ثم لم تع مما فعلت إلا حين ابصرت هاموند يتحفز ، وقد صرخ صرخة حادة ، وقال شيئاً لم تفهمه ، ثم رأته يتسلل حتى يبلـغ الفيراندا ، فتبعته إلى الخارج واطلقت عليه رصاصة تـلو اخرى ، حتى فرغ المسدس ، وهوى يتخبط بدمه ، ثم قر وهدأ كتلة جامدة تنزف .

وافاق الخدم على صوت العيارات النارية ، واسرعوا فوجدوها واقفة فوق جثمان هاموند ، والمسدس ما يزال بيدها . نظرت اليهم برهة من الزمن دون ان تتكلم ، ووقفوا واجمين ذاهلين . وتركت المسدس يسقط . ثم لم تنبس بحرف ، ودخلت الى منزلها وقد ابصروها تنتقل الى حجرة نومهـــا وتقفل الباب إقفالاً

www.ibtesamah.com/vb

محكما .

واسرع كبير الخدم الى ضابط المنطقة ، فأخبره ، وحمل له المسدس دليلًا على صدق روايته . وبعد ساعة ونصف ، كان الضابط ـ واسمه ويترز ـ يقرع باب ليزلي ، صارخاً :

ـ مسز كروسبي ! مسز كروسبي !

ـ من بالباب ؟

ـ ويترز !

وانفتح الباب بعد قليل ، ووقفت ليزلي وراءه . لم تكن في فراشها فهي لا تزال في فسطانها الذي كانت تلبسه عند العشاء ، واطلت برأسها تنظر الى الجندي القادم صامتة .

قال لها :

ـ جاءني خادمك الغلام واخبرني بأمر هاموند . مـــاذا فعلت ؟

ـ حـــاول اغتصابي ، واراد ان يفترسني ، فاطلقت عليه الرصاص .

ـ يا إلهي ! اقول : عليك ان تخرجي لمقابلتي فذلك أفضل . وعليك ان تخبريني على وجه الدقة بما وقع .

ـ لا ! ليس الآن ! يجب ان تعطيني الوقت الـكافي . ارسل في طلب زوجي .

كان ويترز شاباً ، قليل الخبرة ، فلم يعرف كيف يواجـــه

www.ibtesamah.com/vb

حالة طرأت ، ولا ادرك ماذا ينبغي له ان يفعل ، وقد رفضت ليزلي ان تدلي بشيء من التفاصيل إلى ان يحضر زوجها ، حتى اذا وصل سردت على مسامعهما القصة ، وراحت من ثمة تعيدها وتعيدها دون ان تحيد قيد شعرة عن روايتها الاولى .

الأمر الذي قلق له المستر جويس المحامي ، هو ان ليزلي لم تطلق رصاصة واحدة ، فهناك ست رصاصات ، اربع منها اطلقت قرب الجثة ، حتى ليحسب المرء انها وقفت فوقه حين سقط وافرغت فيه مسدسها . وقد اعترفت ان ذاكرتها تخونها عند هذه النقطة ، ولا تعرف كيف حدث لها ذلك . اما ان الغضب تملكها ، وفقدت معه وعيها فهذا افتراض لا يقبل به المستر جويس الذي يعرفها ، ويعرف انها ليست عصبية الى ذلك الحد ، وانها امرأة هادئة ، رصينة ، وقور .

وفيما كان الجميع يتداولون في الحادث ، إذ طرق الباب الصيني المتدرج ، وفتحه ، حين أذن له ، بكل هدوء ، وتقدم نحو الطاولة التي يجلس اليها المستر جويس ، وقال له :

ـ هل ازعجك يا سيدي ، في ان اتحدث اليك على انفراد ؟

ـ لا ! ليس ثمة من ازعاج !

الامر الذي اود التحدث اليك عنه في منتهى «السرية»

www.ibtesamah.com/vb

والدقة !

وطلب المحامي الى من حوله ان يتركوه مع اونغ — سي — سنغ الذي بدا انيقاً في لباسه الافرنجي ، رائعاً في مظهره الجميل ، وتصرفه اللائق المهذب ، حتى اذا خلا بالمحامي ، سعل قليلاً ، ثم قال :

— انه أمر يتعلق بقضية السيد كروسبي وزوجته .

— نعم ! ماذا ؟

— انتهى الى علمي ان ثمة وثيقة تقلب واقع التحقيق في قضية ليزلي رأساً على عقب ، وتجعلها اعقد مما تحسب !

— ما هي الوثيقة ؟

— علمت ان هنالك « رسالة » من موكلتك التي ترافع عنها ، بعثت بها الى ضحيتها المغدور !

— ذلك لا يدهشني . لقد كانت السيدة كروسبي تتصل في بعض المناسبات ، بالسيد هاموند ، وتكتب له .

اراد المستر جويس ان يطلع على مخبآت تلميذه الذي يتمرن عنده ، وهو الذي يعرف ذكاءه وحذقه ، فانكر حقيقة ما خالجه من دهشة غير ان الكاتب الصيني اردف قائلاً :

— ولكن الرسالة كتبت في اليوم الذي قتل به السيد هاموند !

www.ibtesamah.com/vb

لم يحاول جويس ان يغير موقفه العابث الذي اعتاد اتخاذه من كاتبه :

ـ من اخبرك بامر هذه الرسالة ؟

ـ لقد انتهى اليها علمي عن طريق صديق لي !

ـ لا بد ان تتذكر ان افادة السيدة كروسبي صريحة في انها لم تتصل قبل الليلة المشؤومة بالضحية ، إلا باسابيع بعيدة . هل حصلت على الرسالة ؟

ـ لا يا سيدي !

ـ ما هو محتواها ؟

ـ اعطاني صديقي نسخة عنهـا . هـل تود الاطلاع عليها ؟

ـ نعم ! اود !

واخرج اونغ ـ تشي ـ سنغ محفظة نقوده من جيبه ، وفيها خليط من الاوراق والليرات السنغافورية واستخرج منها الرسالة فاذا هي :

« سيكون ر . الليلة غائباً . يجب مهما كلف الامر ان اراك . انا انتظرك في الحادية عشرة ليلًا ؟ انا في حالة يأس ، واذا لم تحضر ، فلن اكون مسؤولة عن النتائج . تعال بدون سيارة ـ ل . »

سأل المحامي اونغ ـ تشي ـ سنغ باهتمام بالغ ؟

ـ ما الذي يحملك على الاعتقاد بأن هذه الرسالة كتبت بيد

www.ibtesamah.com/vb

السيدة كروسبي ؟

– ثقتي التي لا تتزعزع بصديقي الذي اخبرني عنها . ويمكن التحقق من هذه المسألة بايسر سبيل ، فـــان السيدة كروسبي تستطيـع ان تخبرك ، دون ادنى ظل من شك ، ما اذا كانت قد كتبت مثل هذه الرسالة ، ام لا !

– غير معقول ان تكون السيدة كروسبي قد كتبت مثـل هذه الرسالة !

– إذا كان هذا هو رأيك ، فالامر في حكم المنتهي . وقـد اطلعني صديقي على هذا الموضوع ، لأني اعمل في مكتبـــك ، ويمكنك عن طريقي ان تعرفه قبل ان يرفع الى النيابـــة العامة .

سأل المستر جويس بجدة :

– من هو الذي يملك النسخة الأصلية ؟

– انك تذكر يا سيدي – ولا شك – ان علاقة غراميـة كشفت بعد موت هاموند كانت قائمة بينه وبين امرأة صينية. وهذه المرأة هي التي تملك النسخة الأصلية .

كان من شأن هذه العلاقة ان زادت في سخط الرأي العام على هاموند وتبرمه بسلوكه ، بعد ان شاع في الناس خبرهـا وذاع امرها في اعقاب مصرعه ، وسكت الرجلان ، ثم قـــال جويس :

www.ibtesamah.com/vb

ـ انا ممتن لك يا تشي ـ سنغ ـ ! وسأولي هذه القضية عنايتي واهتمامي !

ـ اتريد ان ابلغ صديقي ذلك ؟

ـ يجب ان تظل على اوثق الصلة بصاحبك هذا.

القى مستر جويس كلماته هذه بجد ووقار . ثم تركه كاتبه الصيني لأفكاره ، وخرج بكل هدوء .

وراح المحامي يحدق ويحدق في رسالة ليزلي المكتوبة بخط غير خطها ، وراحت الشكوك والريب تجتاح سريرته وتجرها الى الاضطراب ، وهو يجرب ما امكنه التجريب ان يسيطر عليها ، ويصرفها بالحسنى . ولكن عبثاً .. لا بد من تفسير لهذه الرسالة وليزلي وحدها قادرة على اعطاء التفسير الذي يصح الاطمئنان اليه ، فنهض واقبل نحو مكتب اونغ ـ تشي ـ سنغ . وقال له :

ـ انا عائد بعد دقائق يا تشي ـ سنغ !

ـ إذا جاء الرجل الذي وعدته بالمقابلة في الساعة ١٢ فماذا اقول له ؟

ـ قل له انك لا تحمل ادنى فكرة عن المكان الذي ذهبت اليه .

كان يعلم جويس اتم العلم ان كاتبه عرف مكانه ، فهو ذاهب الى السجن لمقابلة ليزلي التي جيء بها الى سنغافوره ، رغم ان الجريمة وقعت في بيلاندا .

www.ibtesamah.com/vb

وحين رأته جويس في الغرفة التي اعدت لهما، ابتسمت، وكان شعرها قد صفف باناقة ، وقالت له :

ـ لم اكن اتوقع رؤيتك في هذا الصباح !

ـ كيف انت الآن ؟

ـ صحتي جيدة . يخيل الي ان السجن افضل مكان لراحة الفكر والجسم .

وانسحب ناظر السجن ، وبقيا وحدهما . ثم جلس جويس على كرسي اعدت له ، وتردد .. تردد وهو يتأمل اناقتها ، ويصغي لحديثها عن روبرت الذي تنتظره ، وعن الدعوى ، والدفاع .. تردد في عرض ما جاء لعرضه .

ولكنه استجمع قواه ؛ وهي تذكر ما بقي لها من ايام، وكيف تعدها لتخرج من بلائها ، وقال :

ـ اريد ان اسألك بالمناسبة عما اذا كان رأيي مصيباً في انك لم تتصلي بهاموند منذ اسابيع كثيرة ، قبل الحادث المشؤوم ؟

ـ انا على ثقة من موقفي إزاء هذه النقطة . كان آخر لقاء لي معه في حفلة التنس التي اقيمت في ماك فارينز . اذكر ان كلماتي له لم تتجاوز الخمس عدا ، وكانت قصيرة موجزة . ثم لم نلتق بعد في مكان آخر .

ـ الم تكتبي اليه ؟

www.ibtesamah.com/vb

ـ اوه ! لا !

ـ هل انت على يقين من ذلك ؟

ابتسمت ابتسامة صغيرة :

ـ نعم على يقين ! لم اكن اكتب اليه إلا لأدعـــوه لتناول العشاء او لعب التنس ، وهذا ما لم افعله قبل اشهر .

ـ كنت في حقبة من الزمن ، على صلة وثيقة به ، فكيـف انقطعت عنه ، وامتنعت عن دعوته بتاتاً ؟

هزت كتفيها الناعمتين ، وقالت :

ـ الانسان يمل الناس . لم يكن ثمة ما يجمعني به ، سوى انني عنيت بصحته عندما أتى به روبرت مريضاً الى البيت .

ـ هل انت متأكدة ان هذا هو كل ما هنالك ؟

اضطربت ليزلي قليلاً ، وبدا عليها ارتبـــاك طفيف ، ثم قالت :

ـ سأقول لك الحقيقة . بلغني انه على صلة بامرأة صينية ،وانه يعيش معها ، واعلمني روبرت انه لا يرضى بعد ان يراه في منزله ، وقد رأيت الصينية التي يحبها بعيني !

اطمأن المستر جويس لسلامة موقفه ، وقد بصر في عيني ليزلى غضباً جائحـــاً عند ذكر تلك المرأة ، فعزم على مواجهتهـــا بالحقيقة الـــتي لم تشأ ان تقولها ، وتمتم ، ولكن بهـــدوء واضح :

www.ibtesamah.com/vb

ـ ارى من واجبي ان اخبرك ان ثمة رسالة بخـــط يدك الى جوف هاموند .

ـ كنت اكتب اليه ليحضر بعض ما احتاج عندما يذهب الى سنغافوره .

ـ ولكن الرسالة التي احدثك عنها كتبت اليه لأن روبرت كان غائباً في سنغافوره ! الافضل ان تقرأيها بنفسك ، وتتعرفي الى ما فيها .

وتناول من جيبه نسخة الرسالة، فلما القت عليها نظرة ارجعتها اليه بصورة تحمل التأنيب وقالت :

ـ ليس هذا خط يدي !

ـ اعرف ! قيل لي انها نسخة طبق الاصل عن الرسالة التي كتبتها بخط يدك !

وهنا ، اخذت تقرأ كلماتها وهو يتأملها ، وقد لحظ انقلاباً خطيراً يرتسم على وجهها ، فكان لونها يخطف تارة ، ويخضر تارة ، ثم يصفر ، ثم يحمر ، حتى إذا انتهت ، جحظت عيناها ، وهمست قائلة :

ـ ماذا يعني ذلك ؟

ـ اليك يوجه هذا السؤال . ومنك يطلب الجواب !

ـ انا لم اكتب هذه الرسالة . اقسم لك انني لم اكتبها .

ـ كوني على حذر بما تقولين . إذا كانت النسخة الاصلية بخط

www.ibtesamah.com/vb

يدك ، فلا فائدة من الانكار .

ـ لا بد وان تكون ملفقة !

ـ سيكون من الصعب إثبات تلفيقها ، بنسبة ما يسهل إثبات اصالتها .

تندى جبينها بالعرق ، فتناولت منديلاً من جيبها ، ومسحت راحة كفها ، واعادت الكرة على الرسالة وقالت ، بعد ان نظرت محاميها شزراً :

ـ انها غير مؤرخة ، وإذا كنت قد كتبتها ، فقد نسيت كل ما يتعلق بها ، فهي دون شك ترقى الى اكثر من سنة خلت . لابد لي من الوقت لافكر جيداً .

ـ لحظت انها غير مؤرخة . واذا وضعت الرسالة في يدالنائب العام ، اضطرت السلطة ان تحقق مع الاولاد ، وسيعثرون على الغلام الذي حمل الرسالة الى هاموند في يوم وفاته !

ضربت السيدة كروسبي كفا بكف ، وترنحت فوق كرسيها واجمة ، حتى خشي محدثها ان تهوي عنها الى الارض ، وصرخت بألم :

ـ احلف لك انني لم اكتب هذه الرسالة !

ـ إذا لم يكن لديك ما تقولينه بعد غير هذا ، فان علي ان اعود الى مكتبي !

ـ أسالك : ما الذي يمكن ان تعني هذه الرسالة لمن يطلع

www.ibtesamah.com/vb

عليها ؟

اجابها المستر جويس بحدة :

ـ سيعلم ان افادتك كانت كاذبة ، وان كل ما تقولينه في هذا الشأن لم يكن سوى كذب مدروس ! وسيعود التحقيق من جديد ، ويسألك القاضي : لماذا ؟ لماذا طلبت الى هاموند ان يحضر في الوقت الذي كان به روبرت غائباً ؟ اقول لك الحقيقة ! ان هذه الرسالة تجعل دعواك خاسرة !

ـ هل تظن ان المشنقة ستكون من نصيبي ؟!

ـ اذا لم يقتنع المستشارون ان عملك إنما كان دفاعاً مشروعاً عن النفس ، يصبح من واجبهم ان يصدروا قراراً بتجريمك ! وانا لا اريد ان تحدثيني عن اشياء صبيانية ، فكل ما احتاج اليه ان انقذ رقبتك ! انت مسؤولة عن قتل انسان ، وواجب القاضي ان يحكم عليك بالموت !

ارادت ان تدافع بتوجيه اسئلة اخرى : ماذا يستطيعون ان يثبتوا ؟ وماذا يمكن لاهل هذه البلاد ان يكتشفوا ؟ ولكنها ارتبكت ، وسقطت على كرسيها ، قبل ان يتمكن من تلافي سقوطها ، واغمي عليها ، فبحث عن الماء من حولها فلم يجد فركع بجانبها ينتظر ان تثوب الى وعيها ، حتى اذا فتحت عينيها ، قال لها :

ـ كوني هادئة ! ستعودين قريباً الى حالتك الطبيعية !

www.ibtesamah.com/vb

همست في اذنه :

ـ لن تمكنهم انت من ان يشنقوني !

ـ ارجوك ان تستجمعي قواك !

بعد هدأة ناولها خلالها يده ، واوقفها بهـــا على قدميها ، واستغرقت في التفكير ، ثم سألتـه سؤالا عجب له ، اذ لم يكن يخطر له ببال . قالت :

ـ الا يمكن ان نحصل على الرسالة ، لقـــاء مبلغ من المال ؟

ـ لا ادري ! لم يحدثني احد عما اذا كان الشخص الذي يملك الرسالة مستعداً لبيعها !

ـ ترى في حوزة من هي ؟

ـ في حوزة المرأة الصينية الـــتي كان يعيش هاموند في منزلها .

ـ اتراها تريد لقاءها مبلغاً كبيراً ؟

ـ اظن انها تحمل فكرة صحيحة عن قيمتها ، ولا اتوقع ان تعطيها إلا بثمن غال في منتهى الغلاء !

ـ هل تتركونني للمشنقة ؟ ها انا اضع نفسي في يدك !وليس لي من حق في ان اطلب اليك اداء عمل غير شريف !

ونظرت اليه بعينين ذليلتين ، ضارعتين ، فنفذت الى صميم قلبه ، وحسب انه اذا لم يسع في تحقيق فكرتهـــا سيقضي عمره

www.ibtesamah.com/vb

معذباً من اجلها ، فتأمل هنيهة ، وقال :

ـ لا اعرف بالضبط ظروف زوجك المالية .

ـ انه يملك ثلاث مزارع للمطاط ، وله عدة اسهم في اكثر من شركة . واحسب انه قادر على دفع المبلغ مهما رفعه طالبوه .

ـ ولكن لا بد من اعلامه بالسبب !

فكرت ملياً في الامر ، ثم قالت :

ـ انه لا يزال يحبني ! وهو على اتم الاستعداد للقيام باية تضحية لانقاذي ! وهل ثمة من حاجة له في الاطلاع على الرسالة ؟

قطب المستر جويس حاجبيه ، ولحظت ذلك بسرعة ، فتابعت كلامها :

ـ روبرت صديق قديم لك . وانا لا أسألك ان تعمل من اجلي شيئاً . انت إنما تعمل من اجل صديقك الذي لم يؤذك في حياته قط ، وهو في حاجة الى معونتك في هذا الظرف العصيب !

لم يجب المستر جويس بشيء ونهض ليذهب ، فرفعت السيدة كروسبي يدها بدل ونعومة ، وقالت :

ـ كنت في منتهى اللطف ، اذ تحملتني ، وازعجت نفسك من اجلي . لا استطيع ان اخبرك عن عميق امتنانيلك !

www.ibtesamah.com/vb

وحين وصل المستر جويس الى مكتبه لقي اونغ ـ تشي ـ سنغ فسأله عن سير الاعمال في المكتب ، وتحـــدث اليه عن كل شيء اذا حتى اراد تشي ـ سنغ ان يذهب ، سأل المحامي :

ـ الديك ما اقوله ، يا سيد ، لصديقي ؟

ـ اي صديق ؟

ـ حول الرسالة الـــتي كتبتها المسز كروسبي الى هاموند القتيل !

ـ ها ... ! نسيت . لقد تحدثت الى السيدة في هذا الشأن . وانكرت ان تكون قد كتبت شيئاً من هذا القبيل . انها ، بكل تأكيد ، ملفقة .

وتنـاول المستر جويس النسخة من جيبه ، وناولهـــا ولانغ ـ تشي ـ سنغ الذي تجاهل الحركة ، وقال:

ـ اظن ان لا ضرر إذن من تقديم الرسالة ، في مثل هـذه الحال ، للنائب العام .

ـ ابداً ! غير اني لا ارى اي نفع يعود على صاحبك من هذا العمل !

ـ صاحبي يرى واجبـــه في القيام بمـــا تقتضيه مصلحة العدالة .

ـ انا آخر امريء في العالم يتدخل مع إنسان يرغب في اداء واجبه يا تشي سنغ !

www.ibtesamah.com/vb

ـ ذلك امر افهمه ادق الفهم واعرفه ، غير اني وجدت بعد دراستي للقضية التي نرافع بها عن كروسبي وزوجتـــه ، ان « الرسالة » تضر بمصلحة موكلنا .

ـ كنت دوماً واثقاً ببراعتك في القانون ياتشي ـ سنغ !

ـ لقد خطر لي ان احمل صديقي على إغراء المرأة الـــتي تملـــك الرسالة بتسليمها لنا فنوفر بذلـــك كثيراً من المتاعب !

ـ يخيل الي ان صديقك تاجر بارع . كيف تريد حمله عـلى تسليم الرسالة ؟

ـ صديقي لم يحصل على الرسالة . وانما هي المرأة الصينية التي تملكها ، وهو احد اقاربها لا اكثر . والمرأة جاهـــلة لم تكن لتعرف قيمتها ، ولكن صديقي هداها الى ذلك !

ـ ما هي القيمة التي تريدها ؟

ـ عشرة آلاف دولار ، يا سيد !

ـ ومن اين للسيدة كروسبي هذا المبلغ ؟ ! قلت لك ان الرسالة ملفقة !

ـ المستر كروسبي غني . وله اسهم عديـــدة في مزارع المطاط . وبلي صديق يقرضه المبلغ لقاء رهن على اسهمه .

حاول المستر جويس ان يخفض المبلغ ، ولكن عبثاً ، فقـد وضح لديه ان الجميع اصبحوا على ثقة من نجاح الصفقة ، وكلهم

www.ibtesamah.com/vb

يقدرون ان المستر كروسبي يدفع اكثر من هـذه القيمة لينقذ عنق امرأته من المشنقة ، فقر رأي المحـامي اخـيراً على الاتصال بكروسبي واقناعه بضرورة اتخاذ هذه الخطوة . وكان ان لقيـه في المطعم ، حيث تناول غداءه في ذلك اليوم ، فاقترب منـــه وقال له :

ـ اريد ان اتحدث اليك ببعض الاشياء ، قبل ان تغـــادر المطعم !

وعندما خلا المـكان من الرواد ، والتقى الصديقان بـــدأ جويس الكلام قائلًا :

ـ لقد حدث امر مؤسف ، يبدو ان امرأتك بعثت برسالة الى هاموند ليلة مصرعه ، تسأله فيها ان يقدم اليها .

ـ هذا مستحيل ! كانت دوماً تؤكد انها لم تقع عليه عيناها قبل شهرين . وانا على يقين من صحة ذلك !

ـ الواقع هو ان الرسالة موجـودة . وهي الآن في حوزة امرأة صينية كان يعيش معها هاموند . وكانت امرأتك تريد تقديم هدية لك بمناسبة عيد ميلادك ، واحبت ان تحصل على الهدية عن عن طريق هاموند ، ولكنها وقد اذهلتها الكارثة ، نسيت كل ما يتعلق بهذا الامر ، وحيث انها افادت في التحقيق عدم اتصالهـا بهاموند منذ شهرين ، تخشى ان تكون قد وقعت في خطأ يعرقل براءتها في سير الدعوى . هذا مؤسف ، ولكني استطيع التأكيد

www.ibtesamah.com/vb

بانه طبيعي !

وجم كروسبي ، ولم يدر كيف يقول او يتصرف ، فاستنقذه جويس ، وتابع كلامه :

ـ لست في حاجة الى بيان التعقيدات والمشاكل التي تخلقها لنا هذه الرسالة إذا وقعت في يد النيابة العامة . كانت امرأتك قد كذبت في افادتها ، وسيطلب اليها التحقيق ان تشرح كذبها . وسينقلب الموقف رأساً على عقب فيما اذا اعتبر القضاء هاموند « مدعواً » إلى بيتك ، وهو الذي يعتبر الآن « دخيلاً » عليه . وهذا ما يثير الشكوك في نفوس القضاة والمستشارين .

ثم أضاف :

ـ انت لست يا عزيزي روبرت موكلي فقط ، وانما انت ايضاً صديق . اظن ان من واجبنا ان نتخلص من هذه الرسالة . وستكلفنا مبلغاً كبيراً من المال ، ولولا ذلك ، لفضلت ان لا اقول لك شيئاً عنها .

ـ كم ؟

ـ عشرة آلاف دولار .

ـ مبلغ ضخم ! ستكلفني هذه الخطيئة كل ما لدي تقريباً .

www.ibtesamah.com/vb

ـ هل تستطيع الحصول عليها دفعة واحدة .

ـ اظن ذلك ! لا بد ان تشارلي ميدوز يقدمها لي لقاء اسهمي في المطاط والتنك .

ـ اذن هل لك ان تأتي بها ؟

ـ وهل ترى في ذلك ضرورة ملحة ؟

ـ نعم ! اذا اردت ان تخرج امرأتك بريئة !

احمر وجه كروسبي ، وارتبك ، وحاول ان يقول شيئاً ولكن الكلمات لم تؤاتـــه ، وهو لا يصدق ان المشنقة جزاء امرأته على قتلها دودة سعت لافتراسها في الليل ، ولكنه تمالـك اخيراً .. وقال :

ـ متى تريد ان آتيك بالمبلغ المطلوب ، وأين ؟

ـ في تمـــام الساعة العاشرة من مساء هـــذا اليوم في مكتبي .

ـ وهل ستوافيك المرأة الصينية الى هناك ؟

ـ لا ! سأذهب اليها انا بنفسي !

ـ سأكون إذن رفيقك !

ـ اتظن ان ثمة أدنى حاجة للقيام بهذا العمل ؟! الأفضل ـ فيما احسب ـ ان تترك لي حرية التصرف وانهاء هـــذه القضية بنفسي .

www.ibtesamah.com/vb

ـ انه مالي ! اليس كذلك ؟ سأذهب معك !

وفي الساعة العاشرة التقيا في النادي . سأل المستر جويس :

ـ هل اعددت كل شيء ؟

ـ نعم ! المال في جيبي الآن !

ـ إذن فلنذهب !

وركبا سيارة المحامي جويس . وكان اونغ ـ تشي ـ سنغ بجانب السائق يدله على الطريق ، حتى اذا قطعوا فندق اوربا ، ودخلوا شارع فيكتوريا، ودخلوا الحي الصيني، وجدوا الدكاكين لا تزال مفتوحة ، والحركة لم تنقطع ، وما هي إلا بضعة عشر متراً حتى اوقف الدليل السائق ، وقال :

ـ الافضل ان نمشي من هنا الى البيت المنشود .

وكان ما اراد الدليل. ثم طلب الصيني الى رفاقه ان ينتظروه، ودخل دكاناً مفتوحاً على الشارع ، يأوي فيه ثلاثة صينيين أو اربعة . وهناك ابصروه يخاطب رجلاً سميناً ، وبصروا بالسمين يلقي نظرة على الشارع يتأمل ما فيه ومن فيه . ثم أخرج بيده مفتاحاً واوماً للمحامي وصديقه ان يلحقوا به ، فتبعاه حتى بلغوا درجاً ، صعد عليه امامهم ، وفتح باباً في الطابق الأول ، وادخل الرجلين فأجلسهما على مسندين صينيين في غرفة ضيقة ، واقبل بعد

www.ibtesamah.com/vb

دقائق ، غلام يحمل اقداح الشاي ، فرفض كروسبي ، وراح يكلم جويس هامساً .

وفيما هما يتهامسان ، ادخل اونغ ـ تشي ـ سنغ امرأة صينية تبدو ذات شخصية قوية ، وان اساء اليها قصر قامتها ، وضخامة هيكلها ، ولم يكن لباسها اوربياً خالصاً ، ولا صينياً خالصاً ، وفي معصميها اساور ذهبية ، وعلى خصرها زنار ذهبي اللون ، وقد دخلت بهدوء وبطء ، ولها طلعة امرأة واثقة من نفسها ، ثم جلست بجانب اونغ ـ تشي ـ سنغ ، فقال لها شيئاً وأومات إيماءة ايجاب ، وهي ترمق الرجلين الابيضين بنظرة خاصة ، فسأل جويس :

ـ هل احضرت الرسالة ؟

ـ نعم يا سيدي .

لم يقل كروسبي شيئاً ، ولكنه اخرج رزمة اوراق كل واحدة منها بخمسمائة دولار ، عد منها عشرين وسلمها لتشي سنغ :

ـ اتريد ان تعدها وتتحقق منها ؟

عدها تشي سنغ واعطاها للصينية السمينة ، فسحبت من حضنها ورقة ، واعطتها لتشي سنغ بدورها ، فاتجه هذا نحو جويس قائلاً :

www.ibtesamah.com/vb

ـ هذه هي النسخة الاصلية يا سيدي !

ولكن كروسبي اخذها منه قائلاً :

ـ دعني انظر اليها !

ثم طواها ووضعها في جيبه ، فسأله جويس ان يضعها معه ، ولكن كروسبي اصر على الاحتفاظ بها نظراً لما كلفته من مال .. وحين خرجا افترقا على ان يلتقيا عند صدور الحكم .

والتأمت المحكمة في الموعد المقرر ، واصدرت حكمها ـ كما توقع جويس ـ ببراءة مسز كروسبي بعد ان سردت الوقائع بما لا يدع مجالاً للشك في شرف السيدة وغيرتها على عرضها . واثنى القاضي على جرأتها وهنأها باسم المحكمة على حسن سيرتها .

وكانت السيدة جويس ، زوجة محامي ليزلي اعنف من هاجم هاموند وندد بمسلكه . وكانت تحب اصدقاءها وتضحي في سبيلهم ، ولذا الحت على كروسبي وزوجته ان يقيما عندهما ريثما يعدان عدتهما للانتقال من سنغافوره ، والقيام برحلة استجمام .

وعندما خرجت ليزلي من المحكمة رافعة الرأس موفورة الكرامة ـ وكان ذلك في الساعة الثانية عشرة تماماً ـ قادتها

www.ibtesamah.com/vb

السيدة جويس مع كروسبي الى منزلها حيث اقامت وليمة فاخرة كانت قد اجتهدت في ان تظهر بها محبتها واعجابها بكروسبي وزوجته .

وانتهى الغداء ، فاصر جويس على الذهاب الى مكتبه ، واصر كروسبي على العودة الى املاكه لتفقدها ، والاطلاع على ما جرى فيها اثناء غيابه . ولكنه طلب مقابلة زوجته على حدة قبل ذهابه ، فخرجت معه الى حديقة المنزل ، وذهبت السيدة جويس تعد غرفة ليزلي .

وما هي إلا دقائق حتى ابصر المستر جويس ، بعد ان سمع صوت محرك السيارة وهي تقلع حاملة كروسبي الى مزرعته ابصر ليزلي واقفة وسط الحديقة ، تتأمل الفضاء ، وبيدها رسالة مفتوحة عرف سرها في الحال . فاسرع اليها ، ورمقته بنظرة حين رأته قادماً نحوها ، وعلى وجها صفرة تشبه صفرة الموت ، حتى اذا اقترب منها اشعل ثقاباً وتناول الرسالة ، واطعمها للنار . فهمست في اذنه ؟

— انه يعرف !

— ماذا يعرف ؟

— حدقت فيه طويلاً ، وائتلقت في عينيها نظرة غريبة لم يعرف جويس ما اذا كانت يأساً ام احتقاراً ، ثم قالت

www.ibtesamah.com/vb

ببرود :

ـ يعرف ان جوف كان عشيقي !

لم يفه جويس بكلمة ، ولا تحرك حركة ، وتابعت ليزلي اعترافاتها :

ـ كان عشيقي منذ سنوات . وقد عشقته منذ عاد من الحرب واقام في منزلي . وكنت الاقيه في مكان تواعدنا على اللقاء فيه مرتين او ثلاثاً في الاسبوع . وكنا نشاهد بعضنا دوماً ولا يشك احد بامرنا . ثم بدأ يتغير منذ سنة . ولم يكن في مستطاعي ان اتركه . احببته حتى العبادة . وتألمت من اجل تغيره ، حتى علمت اخيراً انه يعيش مع احدى الصينيات ، ولم يكن في مستطاعي ان اصدق ذلك إلى ان شاهدت الفتاة الصينية بنفسي ، وتيقنت من ان الجميع يعرفون تعلقه بها ، فارسلت في طلبه ، وقد اطلعت على الرسالة التي كتبتها اليه ، وكان قد غاب عني عشرة ايام ، وهي في نظري عمر كامل . ثم جاء ـ وكان من عادته ان يمزق كل ما اكتب اليه ـ فصببت عليه جام غضبي ، واخبرني انه ملني ، وتناولت مسدسي ، واطلقت عليه الرصاص ، فانسحب الى الفيراندا ، فلحقته وافرغت فيه مسدسي .

وهدأت وتغير لونها ، وجحظت عيناها ، وتحولت الى شبح في نظر جويس الذي كان يصغي اليها ذاهلا ، واجماً . وفي هذه

www.ibtesamah.com/vb

اللحظة اقبلت السيدة جويس تقول :

ـ اعددت لك غرفتـــك يا ليزلي ! انت في حاجة الى النوم !

ابتسمت ، ووجها مصفر ، وقالت :

ـ انا آتية اليك يا دوروني ، وآسفة لهـــذا الازعاج الذي اسببه لك ..

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر نوفمبر 2019

www.ibtesamah.com/vb

- ٥ -

سقوط ادوار بارنارد

لم يكن في مستطاع بيتمان هنتر ان ينام قط نوماً هانئاً ، وقضى اسبوعي السفر في المركب الذي يقله من تاهيتي الى سان – فرنسيسكو ، وهو يفكر بلا انطقاع ، في القصة التي يجب عليه ان يسردها ، حتى اذا استقل القطار الى شيكاغو اقام ثلاثة ايام بلياليها ، وهو يكرر الكلمات التي انتقاها ليقص القصة. ولكنه اخذ يشعر بالشكوك تساوره عندما اقترب من مدينته العزيزة ، وراح يحسب الف حساب لما عسى ان يكون موقفه ، ولما قد يعنى به من اضطراب وبلبلة .

صحيح انه كان شديد الحساسية ،وانه ينزع الى انكار ذاته ويخيل اليه دوماً ان واجبه يقتضيه ان يتوارى ازاء عاطفته ، غير انه لم يكن واثقاً انه بذل كل ما في وسعه في سبيل صديقه .

كان يعلم ان قلبه طاهر ، بريء ، وان خامره الريب فيما اذا كان ذلك القلب – وهو قلبه – اقام طويلاً على براءته وطهارته ،

www.ibtesamah.com/vb

وكان يخشى اكثر ما يخشى ، ان تقابله بنظراتها الباردة حين يقص عليها ما وقع لادوار ، فان ايزابيل لونغستاف ذات صرامة عجيبة في اخلاقها ، ودقة متناهية في انضباطها ، وهي الى ذلك تقيس الناس بمقاييسها الصارمة ، ولا تأخذها في الحكم عليهم مراعاة ظروف او تقدير حال . ولها طريقة عظيمة في التأثير ، في التعبير عن سخطها ، إذ كانت تسكت ، وكان مجرد سكوتها توبيخاً او لوماً او تعنيفاً لا يطاق ثم لم يكن لاحكامها على سلوك الآخرين استئناف او اعادة نظر ، فهي اذا فرغت من تقرير شيء ، كان قرارها نهائياً ، ولا سبيل معها الى تغييره بحال من الاحوال .

وكان بيتمان يحبها على علاتها ، ولم يكن متعلقاً بجمالها فقط ، وهي الناحلة الممشوقة ، ذات الاعطاف الارستقراطية ، وانما كان مفتوناً ايضاً بجمال روحها ، وكانت تتراءى لعينيه ، بصدق لسانها ، وتشددها في الحفاظ على الشرف ، وجرأتها التي لا تعرف اللف ولا الدوران ، انها تجمع في شخصيتها اروع الشمائل والصفات التي يتحلى بها مواطنوه .

واخيراً حط القطار في شيكاغو فنزل بيتمان يتأمل مغاني طفولته ، مستشعراً بسرور لا حد له ، لانه ولد في اعظم مدينة من مدن الولايات المتحدة . لقد كانت سان ـ فرنسيسكو قروية ريفية ، ونيويورك عقيمة منهكة ، ولا ريب ان مستقبل

www.ibtesamah.com/vb

اميركا ونموها الاقتصادي إنما يكمنان في شيكاغو التي يؤهلها موقعها ونشاط سكانها لان تصبح العاصمة الحقيقية للبلاد .

وجاء ابوه يستقبله ، وبعد عناق طويل في المحطة ، سلكا الطريق الى البيت ، وكانت سيارة تنتظرهما على مسافة قريبة ، فامتطياها حين بلغاها ودار الحديث بينهما .

ـ انا مسرور بعودتك يا ولدي ! هل انت مسرور ؟

ـ غاية في السرور !

ـ اظن ان التجارة رائجة هنا اكثر مما هي حالها في جزيرتك النائية ! هل كنت تحبها ؟

ـ اعطني شيكاغو يا بابا ، وخذ كل ما عداها .

ـ لم تأت بادوار بارنارد معك !

ـ لا !

ـ كيف حاله .

سكت بيتمان هنيهة ، واكفهرت طلعته الجميلة ، التي يرتسم عليها كل ما يختبيء في نفسه ، واخيراً .. قال :

ـ لا اريد ان اتحدث عنه بهذه السرعة يا بابا .

ـ كما تريد يا ولدي ! انا احسب ان امك ستكون اليوم في ذروة سعادتها !

اجتازا الشوارع التي تعج بالناس ، ودارت السيارة بهما حول

www.ibtesamah.com/vb

البحيرة حتى بلغا البيت ، وكان نسخة طبق الاصل عن قصر بني على ضفة اللوار في فرنسا ، وكان السيد هنتر قد بناه بنفسه ، لبضع سنوات خلت . ولم يكد بيتمان يلج غرفته الخاصة حتى تناول الهاتف . وادار دولاب ارقامه ، وقفز قلبه من بين ضلوعه عندما سمع الصوت الذي اجابه :

– صباح الخير يا ايزابيل !

– صباح الخير بيتمان .

– كيف عرفت صوتي ؟

– لم يمض علي زمن طويل وانا لم اسمعه ، وكنت الى ذلك اتوقع قدومك .

– متى استطيع ان اراك ؟

– اذا لم يكن لديك ما يشغلك ، وربما كان افضل وقت ان تتناول عشاءك معنا الليلة ! اظن ان لديك من الاخبار الشيء الكثير .

حسب ، وهو يتملى من نبراتها ، انه يسمع فيها اختلاجة خوف ، فاجاب :

– نعم ! وترك الآلة .

لم يكن بجانبه عند العشاء سوى ايزابيل وامها وابيها ، فراح يلاحظ طريقتها في توجيه الحديث ، وسبلها الى التعبير ، وكيف تبدو ارستقراطية في مظهرها ، واناقة كلامها ، وحسن اختيارها

www.ibtesamah.com/vb

للالفاظ ، وزي شعرها المصفف تصفيفاً ينم عن ذوق رفيع وعافية روحية طاهرة ، ونسي انها كانت بالفعل تنتمي الى اعرق بيوتات شيكاغو .

وعندما فرغ الجميع من العشاء ، وخرجت ايزابيل من غرفة الطعام ، قالت لامها :

ـ اريد ان اختلي ببيتمان في غرفتي الخاصة . لأن لدينا اشياء كثيرة ينبغي التحدث عنها .

اجابت مسز لونغستاف :

ـ حسن يا عزيزتي ! يمكنك ان تلاقيني مع والدك في مقصف مدام ده باري ، عندما تفرغين من احاديثك .

وقادت ايزابل الفتى العائد الى الغرفة التي تنطوي فيها على اعذب ذكرياته ، فشعر حين ولجها ، رغم انه كان يعرفها بدهشة وانشراح لم يسبق له ان شعر بهما قط في حياته كلها ، فابتسمت وقالت :

ـ اظن انها غرفة موفقة . كل ما فيها طريف .

ـ هي ككل شيء تضعين فيه يدك : آية ذوق وجمال .

ثم جلسا قبالة جذع خشبي اعد وقوداً للنار ، وايزابل تنظر اليه بعينين هادئتين رصينتين :

ـ قل لي الآن ماذا وراءك ، وعم تريد ان تحدثني ؟

www.ibtesamah.com/vb

ـ اكاد لا اعرف كيف ابدأ .

ـ الا ينوي ادوار بارنارد ان يعود ؟

ـ لا !

وامتدت فترة سكوت طويلة ، قبل ان يستأنف بيتمان الكلام ، كانت افكارهما تملؤها وتعج فيها عجيجاً صامتاً .

لقد كانت قصة عسيرة على السرد ، اذ ان فيها كثيراً مما يجرح شعورها الرقيق ، ويسيء الى كرامتها وكبريائها الرفيعة ، وكان عليه ، انصافاً لها ، وانصافاً لنفسه في الوقت ذاته ، ان يقول لها الحقيقة برمتها وان كانت لا تطيق سماعها ، ولا تقوى على تصورها .

كان الأمر كله قد بدأ منذ زمن طويل ، اي منذ كان هو وادوار بارنارد رفيقي دراسة . والتقيا ايزابل معاً في احدى حفلات الشاي . وكلاهما كانا قد عرفاها ايضاً في صباها الأول ، الا انها توارت عن نظريهما لمدة سنتين عاشتهما في اوربا لمتابعة دروسها ، ثم تجددت علاقتهما بها بعد عودتها . وكلاهما وقعا في حبها ، وتيمتهما بنسبة واحدة ، ودرجة واحدة ، غير ان بيتمان لحظ منذ البداية ان ميلها منصرف الى ادوار ، فطوى جانحيه على سر لم ينفذ اليه نور ، وارتضى من دنياه بانكار ذاته ، وقنع ان يكون امين ادوار ، ومستودع اسراره ، لا سيما وهو لا يطمح الى ان يكون في مستواه من الثروة والمكانة وبسطة الجاه ،

www.ibtesamah.com/vb

بالاضافة الى اقتناعه بان صديقه يستحق النعمة التي تتجه نحوه . ثم لم يمض على العشيقين المتحابين ستة اشهر حتى كانا خطيبين . ولكنهما كانا من حداثة السن بمنزلة حملت والد ايزابل على اتخـــاذ قرار يقضي بتأجيل قرانهما الى ما بعد اجتياز ادوار مرحلة الدراسة ، وكان عليهما بذلك ان ينتظرا سنة كاملة . وكان تعلق بيتمان يزداد مع الايام بهذه الفتاة المخطوبة التي ستصبح عما قريب زوجـــة صديقه ، فاذا رشقته بابتسامة ، او رمقتـه بنظرة عطف ، او وجهت اليه كلمة رقيقة ، عد ذلك نعمة تفوق نعم الارض والسماء ولم يخالجه قط شيء من حسد ، او يسري الى حياته شيء من سموم الغيرة .

ثم حدث ما ليس في الحسبان . حدث ان اعلن احد البنوك الكبرى في شيكاغو افلاسه ، وسرى الذعر على الاثر الى البورصة ووجد والد ادوار بارنارد نفسه في طرفة عين ، فقيراً ، بائساً ، مرذولاً لا يملك شروى نقير ، فدخـل ذات ليلة مكتبه ، واطلق النار على نفسه .

بعد اسبوع من هـذا الحادث المروع ، ذهب ادوار الى ايزابل ، لاهثاً ، مصفر اللون ، وطلب اليها ان تجعله في حل من امرها . وكان جوابها الوحيد ، ان طوقت عنقه بذراعيهـا ، وانفجرت بالبكاء ، فقال لها خطيبها التاعس :

ـ ارجو ان لا تزيدي بلائي ، وان لا تحمليني فوق مـــا احمل !

www.ibtesamah.com/vb

– هل تظن انني استطيع ان اتركك الآن تمضي ؟ انا احبك !

– كيف لي ان اطلب اليك الزواج مني ؟ لا ! لا امل لي بعد ابداً في شيء ! وابوك لن يسمح لك بشيء من ذلك !

– وماذا يهمني من الدنيا كلها ؟ انا احبك !

لم يجد إزاء الحاحها إلا ان يطلعها على خططه كلها : عليه ان يجد ما يقتات به ، وان يحصّل من المال ما يكفيه لتحقيق سعادتها. وقد عرض عليه جورج براون شميدت صديق اهله القديم ان يشركه في اعماله ، وهو ذو تجارة واسعة في جزر الباسفيك الجنوبية ، ولذا لا بد له من الذهاب الى تاهيتي حيث يتمرن هنالك سنة او سنتين ، يعود بعدها الى احتلال مركز في شيكاغو ، وهذا وعد صريح من براون شميدت ، لا يملك إلا ان يفي به . ثم انها فرصة لا يستطيع ان يضيعها من يده .

وما كاد ادوارد ينهي حديثه وشروحه حتى انقلبت ايزابيل دفعة واحدة الى بسمات وافراح .

– لم حاولت إذن ايها المجنون ان تجعل مني فتاة بائسة ؟

– انت لا تعنين يا إيزابيل انك تنتظرينني طول هذه المدة التي حكم علي ان اغيب فيها .

www.ibtesamah.com/vb

ـ الا ترى انك تستحق ذلك ؟

ـ ارجو ان لاتهزئي بي . اضرع اليك ان تكوني جادة . قد يستغرق الامر سنتين !

ـ لا تخف ابداً يا ادوار . انا احبك ، وعندما تعود اتزوج منك !

كان براون شميدت يكره التباطؤ في عماله ومستخدميه . وقد اعلم ادوار ان عليه ان يسافر في اليوم التالي الى سان فرنسيسكو اذا هو قبل العرض ، فكان ان قضى آخر امسية مع ايزابيل قبل ان يسافر .

وبعد العشاء طلب السيد لونغستاف ان يقابل ادوار في غرفة على حدة ، حتى اذا تقابلا ، وجه لونغستاف هذا الكلام لمحدثه ، وهو عابس :

ـ اظن انك سمعت بارنولد جاكسون .

ارتبك ادوار ، ولكن طبيعته النزاعة الى الصدق حملته قسراً على التسليم بمعرفة شخص كان في مستطاعه ان ينكر امره ، ويتجاهل ببساطة شأنه :

ـ نعم انا اعرفه ، ولكن منذ زمن بعيد ، بعيد . واحسب انني لم اعره ادنى اهتمام .

ـ قليلون هم الذين لم يسمعوا بارنولد جاكسون في شيكاغو . واذا كان ثمة من لم يسمع به ، فانه واجد لا بد من يقص

www.ibtesamah.com/vb

عليه سيرته . هل تعرف انه كان شقيق السيدة لونغستاف ؟

— نعم ! اعرف ذلك !

— نحن لم نتصل به منذ اعوام واعوام ، وقد ترك البلاد وهو في سن مبكرة ، وعلمنا من بعد انه يقيم في تاهيتي . نصيحتي اليك ان تتجنب الاتصال به ، ولكن اذا اتيح لك ان تسمع شيئاً عنه ، فان السيدة لونغستاف وانا ، نكون جدمسرورين اذا نقلت الينا اخباره .

— من كل بد !

— هذا كل ما اردت ان اقوله لك . تستطيع الآن ان تعود الى السيدات .

كان آل لونغستاف قد اتخذوا موقف الصمت امام كل من يذكر لهم ارنولد جاكسون ، واكتفوا بنسيانه ونبذه من محيطهم لسوء سيرته ، وانقطعوا بتاتاً عن التعرض لذكره ، وكانوا يمتنعون عن المرور في الشارع او الحي الذي يقطنه ، وقد تلطفوا مع زوجته واولاده فعالوهم لسنوات عديدة ، شرط ان يقيموا في اوربا ، وبذلوا كل ما في وسعهم لمحو اسم ارنولد جاكسون من ذاكرة الناس الذين يتصلون بهم ، ولكنهم كانوا على علم بان قصته ما تزال حية في الاذهان ، وان الجمهور لا يزال يتحدث خفية عن الفضيحة التي روعته .

www.ibtesamah.com/vb

وكان ارنولد جاكسون هذا صاحب مصرف كبير ، ومحسناً مرموقاً في المحسنين ، ومحترمـــاً لدى عامـة الناس وخاصتهم نظراً لامانته واستقامته وعفة يده ولسانه . وقد القي عليه القبض ذات يوم ، واقتيد الى السجن بتهمة احتيال موصوف . وصعق الناس يوم اعلنت المحكمة الوقائع ، ولم يجد المحـامون سبيلاً الى شيء من الاسباب التخفيفية ، فالاحتيال الذي اتهم به منظم ، مدروس ، وجرى حين جرى عن تصور سابق منه ، وتصميم ، وحكم عليه آنذاك بسبـع سنوات ، وارسل الى السجن ، غير ان اكثر الناس كانوا يعتقدون انه هرب من سجنه ، ثم لم يعرف احد بعد ما حل به ...

وعندما افترق الحبيبان في آخر ليلة اجتمعابها ، غرقت ايزابيل في دموعها ، ولم تجد سلوى ولا عزاءإلا بشعورها آنئذ ان ادوار يبادلها الاخلاص في حبه إياها ...

كان ذلك منذ سنتين خلتا ... ولم ينقطع عن الكتابة اليهـا منذ فارقها في كل بريد ، لأن البريد كان يصل مرة في كل شهر ، وكانت رسائله تحمل اليها كل ما تنطوي عليه رسائل الحب من حنين ، الى اشتياق ، الى وله ، الى رغبة في العودة ملحة ، جارفة ، طاغية . وهي تجيبه كل مرة ان يثابر على عمله ، خشية ان تفوت الفرصة التي اتيحت له من جهه ، ولأنها لا تريد من جهة ثانية ، ان

www.ibtesamah.com/vb

يفرغ صبره ، ويفقد طاقته على الكفاح .

وكان منه اخيراً ان تراءي لها مستقراً ، منصرفاً الى اغنـــاء ثروته وتعزيز مكانته في نفوس عارفيه ، مما جعل ايزابيل تشعر بالسعادة، وقد علمت ايضاً انه متحمس لادخال الطرائق الاميركية على تلك الزاوية المنسية من العالم . وقبل ان تمر السنة الثانيـة على سفره بقليل ، عمدت ايزابيل — وهي التي كانت تفهمه وتعرف دقائق نفسيته — الى استخدام كل ما لها من سلطة عليه ، لحمله على البقاء في تاهيتي ، وفسخ عزيمته عن العودة الى الوطن ، اذ رأت من الافضل ان يتعلم ادارة الاعمال وتصريفها ويتقن هـذا الفن نهائياً ، واذا كان في مستطاعهما ان ينتظرا بعد سنة اخرى، فليس ثمة ما يبرر عدم انتظارهما . وقد تحدثت في ذلك مراراً وتكراراً الى بيتمان هنتر ، اخلص الاصدقاء لهما واقربهم منهما واوفـــاهم واثبتهم اطلاقاً ، وكانا قد قررا ان مستقبل ادوار يجب ان يظل نصب اعينهما ، وفي مقدمة الامور التي يوليانها اهتمامهما . وحين رأت ايزابيل ، بعد مرور الزمن ، ان ادوار توقف عن التفكير في العودة ، وكف عن ذكر شيء من ذلك في رسائله ، شعرت بارتياح عميق ، وقالت لبيتمان :

— انه فتى رائع ارائع حقاً ! الا تراه كذلك ؟

— ابداً يظل ابيض أنى وضعته . واني لاقرأ من خـــلال

www.ibtesamah.com/vb

سطوره انه يكره البقاء هناك ، ولكنه بقي لأنه .. يحبك .

ـ ذلك ما يجعلني اشعر بالتواضع !

ـ انت عظيمة حقاً يا ايزابيل ! جد عظيمة !

ثم ... ثم اخذت رسائل ادوار ، على ما فيها من عذوبة وحنين وصفاء ، اخذت تتغير لهجة ونغماً ، او راحت ايزابيل تشعر يوماً بعد يوم ، ان رسائله تنطوي على ثرثرة ، على ضرب من الثرثرة لا تملك ان تتبين حقيقته ، وخامرها ظل ريب خفيف خص به النساء دون الرجال ، في اصالة ما يقول ادوار بعداليوم ، واصبحت غير واثقة انه ما يزال ذلك الفتى الذي تهواه وتعرفه .

وفي ذات اصيل ، من اليوم الذي تلا وصول البريد من تاهيتي ، كانت تسوق سيارتها في نزهة ، وبجانبها بيتمان ، سألها هذا :

ـ هل اخبرك عن موعد ابحاره الى الوطن ؟

ـ لا ! انه لا يذكر شيئاً . اظن انه قد تعرض لهذا الامر في رسائله اليك .

ـ ولا كلمة واحدة !

ضحكت ، وهي تجيب :

ـ انت تعرف من هو ادوارد ! انه لا يملك حاسة الزمن ،

www.ibtesamah.com/vb

فاذا كتبت اليه يمكنك ان تسأله عن قدومه وموعده .

قالت ذلك بكثير من اللامبـــالاة ، ولكن بيتمان ادرك – وهو الحساس الفطن – ان وراء هذه اللامبـالاة المصطنعة ، رغبة حارة في ان يقوم بتنفيذ ما اقترحت عليه ، فضحك بدوره، وقال :

– نعم ! سأكتب اليه واسأله . لا استطيع تصور ما يراه او يفكر به في هذا الصدد .

وبعد ايام قليلة التقيا ثانية . فابدت ايزابيل مـا لحظته على بيتمان من اضطراب وتشتت بال ، واصبحت لكثرة ما تحتك به في اثناء غياب ادوار ، على صلة قريبة بروحه وما يعتمل في قرارتها ، كما اصبحت تعرف – وهي المثقفة ثقافة عالية – ردود الفعل في نفسه على الحوادث وطرائق تصرفه حيالها ، ولم يخف عنها حـين رأته على تلك الحال ، ان لموقفه ذاك علاقة بادوار ، فما انفكت تلح عليه وتلح حتى اعترف اخيراً ، وقال :

– الواقع اني علمت ، وبطريقة غير مباشرة، ان ادوار انقطع منذ امد طويل عن العمل في محلات براون شميدت وشركائهم . وقد توجهت امس بنفسي الى السيد براون شميـــدت نفسه ، واخبرني ..

– ماذا قال ؟ !

www.ibtesamah.com/vb

ـ ان ادوار ترك عمله في محلاتهم منذ نحو سنة !

ـ غريب ! كيف لم يتعرض لذلك ولو بكلمة واحدة في رسائله الينا !

ـ لقد طرد طرداً من العمل !

ـ ولم طردوه ؟

ـ الظاهر انه نبه مرة ومرتين ، واخيراً طلب اليه ان يترك المحل الذي يعمل فيه وهم يقولون : انه كان بليداً ، وغير كفؤ للعمل .

امتدت لحظة سكوت ، صرخت ايزابيل على اثرها موجعة ، يعصرها الأسى والالم ، فامسك بيتمان يدها بحركة عفوية :

ـ لا يا عزيزتي لا ! كان من واجبك ان لا تلحي علي ، وما كان بودي ان اخبرك !

هدأت برهة ، وهي تجيل فكرها في هذا الذي حدث ، ثم قالت ، وهي تدير عينيها المغرورقتين :

ـ هل لحظت ان في رسائله الأخيرة شيئاً غريباً ؟

ـ نعم ! احسست فيها بعض التغير . يبدو انه فقد تلك الروح الجادة التي كنت اكبرها فيه .

ـ ربما يخبرك في جوابه لخطابك الاخير عن موعد

www.ibtesamah.com/vb

قدومه .

وجاء كتاب من ادوار ، ولكنه يغفل كالعادة ذكر شيء عن عودته . إلا ان كتابه هذا وضع في البريد قبل وصول رسالة بيتمان اليه . ثم جاء الجواب الى بيتمان ، فحمله تواً الى ايزابيل وهو يقول ، محمر الوجه ، خجلاً :

ـ اكاد احسب انه يسخر مني .

التهمت إيزابيل الرسالة ، وقالت :

ـ يبدو كذلك ، ولكنه عن غير سوء في النية . انها رسالة لا تشبه ادوار في شيء ! انه لا يقول شيئاً عن عودته . ولو لم اكن واثقة من حبه لظننت . . اني لا اعرف ماذا اظن !

كان بيتمان قد وضع خطة جديدة استحوذت على تفكيره ، وهي ان يذهب بنفسه الى هونولولو وسدني وولنجتون ، محل الوكيل الذي سيرسله والده صاحب متجر السيارات الى تلك المناطق ، وان يعرج في طريق العودة ، على تاهيتي ، وهناك يقابل ادوار ، فرأى ان يخبر ايزابيل عن خطته ، قائلاً :

ـ هنالك سر بعيد الغور ، ولا بد لي ان اجلو امره . تلك هي الطريقة الوحيدة التي بقيت امامنا !

ـ انت رائع يا بيتمان ! لله ما الطفك وما اطيب نفسك !

www.ibtesamah.com/vb

ـ انت تعرفين يا ايزابيل ان ما من شيء في هذه الحياة يهمني كسعادتك !

حملقت فيه وناولته يدها وهي تقول :

ـ لا اعتقد ان في الدنيا فتى اروع منـــك واطيب . ولا ادري كيف لي ان اظهر لك امتناني العميق من بعد !

ـ انا لا اريد منك الشكر ولا الثواب . كل ما اريد ان تسمحي لي بتقديم العون لك !

طأطأت رأسها ، وتورد خداها ، وهي التي كانت قد تعودت رؤيته ونسيت مدى ما هو عليه من رقة وجمال ، لقد كانت تعلم بالطبع انـه يحبها . وقـــد ايقظها موقفه هذا الاخير على عاطفته نحوها، فتأثرت واحست بالانعطاف نحوه .

وتلك هي الرحلة التي رجع منها الآن بيتمان هنتر .

كان يحسب عندما سافر ان ليس ثمة شيء جدي يحول دون عودة ادوار الى وطنه ، اللهم إلا ان تكون كبرياؤه قد منعته من العودة فقيراً ، وهذه قضية يستطيع بيتمان ان يجد لها الحل الصحيح في ان يسلم صديقه العمل الذي يقوم به احد وكلاء ابيه في شيكاغو ، لا سيما ان تجارة والده مزدهرة ، تدر عليـــه وعلى شركائه الارباح الوافرة .

واراد ان يفاجيء ادوار ، وهو الذي استغرقت اعمـاله من الوقت اكثر مما كان ينتظر ، فلم يبرق اليه يعلمـــه عن وصوله ،

www.ibtesamah.com/vb

حتى اذا حطت قدماه في تاهيتي ، نزل في فنـــدق « لافلور » ، وسأل الشاب الذي قاده الى الفندق عما إذا كان يعرف رجلاً اسمه « ادوار بارنارد » ، فأبدى له الشاب انه سمع بهـذا الاسم ، ثم قال ، وهو يتذكر :

ـ انت تعني ذلك الاميركي الطويل ، صاحب الشعر الاسمر الخفيف ، والعينين الزرقاوين ، وهو ابن اخي جاكسون .

ـ ابن اخي من ؟

ـ ارنولد جاكسون .

ـ اظن اننا لا نتحدث عن الشخص نفسه !

احس بالذعر ، وبدا له غريباً ، في منتهى الغرابـة ، ان يكون ارنولد جاكسون المرزول الذي نبذته الهيئة الاجتماعيـة ، مقيماً في تلك الجزيرة ، ولم يستطع ان يتصور ذلـــك الفتى المعروف هناك انه ابن اخيه ، فان السيدة لونغستاف ـ والدة ايزابيل ـ هي شقيقته الوحيدة ، ولم يسبق له قط ان كان ذا اخ او اخت غيرها .

واتصل بيتمان ، بعد ساعـــة من نزوله في الفندق ، بمخزن براون شميدت وقد لقي عناء كبيراً في الاهتداء اليه ، وهنـاك ارسل بطاقة تحمل اسمه وعنوانـــه الى مدير المخزن ، وسأل السكرتير :

www.ibtesamah.com/vb

ـ هل لك ان تخبرني عن المكان الذي يقيم فيه ادوار بارنارد. علمت انه كان يعمل في المحل .

ـ هذا صحيح . ولكني لا اعرف بالضبـــط اين هو الآن ؟

ـ الذي اعرفه انه قدم الى هنا بنـاء على توصية من السيد براون شميدت .

نظر السكرتير السمين الى بيتمان بريبة وحذر ، ثم نادى غلاماً يعمل في المحل ، قائلًا :

ـ هنري ! قل لي هل تعرف اين هو المستر بارنارد الآن ؟

ـ اظن انه يعمل في محل كامرون .

التفت السكرتير نحو بيتمان وقال له :

ـ اذا انت سرت شمالاً من هنا ،واشار بيده الى جهة خارج المحل ، تصل الى محل كاميرون بعد ثلاث دقائق . ولا بد لي ان اخبرك ان شركاء براون شميدت يرفضون ان يلاقوا المستربارنارد وجهاً لوجه ، ويأبون التحدث عنه .

خرج بيتمان ممتعضاً ، وهو يشعر ان لدى هذا الرجل اشياء كثيرة يريد ان يقصها عليه ، ولكنه لم يملـــك الوقت الـكافي لذلك .

كان اول شخص لقيه في محل كامرون هو ادوار بذاته ، وقد

www.ibtesamah.com/vb

شمر عن ساعديه يبيع البضائع القطنية المكدسة ، وشعر بالرعب لهذا العمل الوضيع ، والمحل القذر الضيق الذي يعمل فيه. ولكنه ما كاد نظر ادوار يقع على صديقه ، حتى صاح مندهشاً ، وقد تملكه الفرح :

— بيتمان ! هل يخطر ببال احد ان اراك هنا ؟

ومد ذراعه من فوق الحاجز الخشبي وصافح صديقه بلهفة وارتعاش ، ارتبك معهما بيتمان ، ثم قال له :

— انتظر قليلاً ريثما ارتب هذه الصرة .

واستأذن ادوار بعد قليل من اصحاب المحل ، ومضى مع بيتمان الى الفندق ، حيث جلسا فوق مقعد وثير ، ودار الحديث بينهما حول مختلف الشؤون ، تتمة لما كانا قد اخذا فيه على الطريق ، وعرف بيتمان ان صديقه طرد من محلات براون شميدت ، وانه اضطر الى مزاولة العمل حيث رآه ، ولكنه احس في مظهره وطرائق تصرفه ، ومجمل احاديثه انه مغتبط ، مسرور ، منشرح الصدر ، خلافاً لما كان ينتظر ، ودهش لأسلوبه في الحديث ، والأسئلة التي القاها عليه ، فهو لم يذكر ايزابيل إلا كما ذكر غيرها من اصحابه ، وسأل عن والد بيتمان ، وامه ، اكثر مما عني باخبار ايزابيل ، او ان اهتمامه بها لم يكن ليزيد عن اهتمامه بغيرها من الأهل والصحاب .

www.ibtesamah.com/vb

وفيما هما يتحدثان اقبل نحوهما رجل لم يشاهده بيتمان اذا كان يدير ظهره ، ولم يشعر بقدومه إلا عندما بادره ادوار بفرح :

ـ تعال واجلس معنا !

ثم قدم بيتمان له :

ـ هذا هو صديقي القديم بيتمان هنتر الذي حدثتك عنه مراراً .

ورد الغريب وهو يصافح الزائر الجديد بحرارة :

ـ انا مسرور بلقائك يا مستر هنتر ! كنت اعرف اباك جيداً .

وكان ادوار قد تأخر في تقديمه : « انه مستر ارنولد جاكسون » .

اضطرب بيتمان وارتبك ، ولم يدر كيف يقول ، وحاول ان يخبيء ارتباكه ، حتى فاجأه ارنولد :

ـ يمكنني القول ان اسمي غير جديد عليك .

وساءته هذه المصادفة العجيبة ، وهي ان يلاقي في تاهيتي الشخص الوحيد الذي يتجنب ملاقاته ، ثم انقذه المستر جاكسون من الوجوم الذي ران عليه ، وقال له :

ـ لقد عرفت انك صديق آل لونغستاف . وماري لونغستاف

www.ibtesamah.com/vb

هي اختي .

هنا راح بيتمان يتساءل في سره عما اذا كان ارنولد جاكسون يجهل انه يعرف خبر تلك الفضيحة التي هزت شيكاغو من اقصاها، ثم كان من جاكسون ان ربت على كتف ادوار وقال :

ـ انا مشغول . واني لاطلب اليكما ان تتفضلا وتتناولا العشاء الليلة في منزلي .

رد بيتمان محاولاً الرفض ببرود :

ـ لطف كبير منك ان تدعونا . ولكني هنا لأمد جد قصير ، وسيقلع بي المركب غداً . ارجو ان تعذرني ، فانا لا استطيع تلبيتك.

ـ هذر ! سأقدم لكم عشاء تاهيتياً ، وزوجتي طاهية ماهرة، وسيدلك ادوار على الطريق. تعالوا باكراً لتشاهدوا مغيب الشمس، فهو من ابدع المناظر في منزلنا .

واسرع ادوار فاجاب :

ـ طبعاً ! سنكون عندك ، اذ ان ثمة ما يزعج في الفندق ، ونحن نسعى وراء راحة بيتمان .

واردف جاكسون قائلاً ، قبل ان يمضي :

ـ لا استطيع ان اتركك خارج بيتي يا سيد هنتر ، فاني اود ان اسمع منك عن شيكاغو واختي ماري .

www.ibtesamah.com/vb

وانطلق مهرولاً قبل ان يتمكن بيتمان من الاحتجاج ،وقهقه ادوار ضاحكاً يقول :

ـ نحن لا نقبل الاعتذارات هنا في تاهيتي ، ولا نرفض الدعوات التي توجه الينا . ثم انك ستحظى باشهى عشاء يمكن ان تتناوله في هذه الجزيرة .

ـ ماذا يعني بقوله : ان زوجته طاهية ماهرة ؟ الذي اعرفه ان امرأته تقيم في جنيف !

ـ معلوماتك يا بيتمان قديمة . اظن انه يتحدث عن زوجة اخرى جديدة لا تعرفها .

تأمل قليلًا وقال ، وهو يلمح نظرة هازئة تموج في عيني ادوار :

ـ ارنولد جاكسون رجل محتال مرذول .

ـ انا اخشى ان يكون كذلك !

ـ واني لاعجب كيف يتاح لرجل شريف وقور ان يكون على صلة به ، مهما كانت ضئيلة !

ـ ربما كنت غير شريف ولا وقور !

ـ هل صلتك به قوية يا ادوار ؟

ـ نعم ! لقد تبناني واعتبرني ابن اخيه !

ـ هل تحبه ؟

ـ كثيراً !

www.ibtesamah.com/vb

ـ ولكن الا تعرف انه « نصاب » ، محتال ، وانه حكم عليه بالسجن من اجل ذلك ؟! ثم الا تجد ان من الواجب على المجتمع الذي يعيش فيه ان ينبذه ويتجنب كل تعامل معه ؟

ـ اظن انه وغد لا يلطف من نذالته شيء . ولا استطيع الادعاء ان اي ندم يمكن ان يصدر عنه ، ويكون مبرراً لمسامحته على اعماله السابقة الشائنة . بيد انك لا تملك ان تفك نفسك من إسار جاذبيته ، وانا لم التق في حياتي كلها امرءاً او رفيقاً اودع منه وامتع . لقد علمني كل ما اعرف !

ـ ترى ماذا علمك ؟

ـ علمني كيف احيا !

ـ انفجر بيتمان في ضحكة هازئة ساخرة !

ـ يا له من استاذ حاذق . انك مدين لتعاليمه في وضعك البائس الراهن الذي تقيم فيه وسط القذارات في مخزن لاتكسب فيه عشرة سنتات في اليوم !

ـ ان له شخصية ساحرة . وربما اتيح لك ان تفهم الليلة ما ما اقول !

ـ لن اذهب لتناول عشائي هناك . إذا كان هذا هو ما تعنيه . وما من شيء في الدنيا يحملني على ان تطأ قدماي بيت وغد مرذول مثله .

www.ibtesamah.com/vb

ـ تعال من اجلي يا بيتمان . لقد عشنا اصدقاء طيلة العمر ، ولا تريد ان تخيب رجائي فيك !

كانت لهجة ادوار في كلماته الاخيرة تحمل طابعاً غاية في الرقة ، لم يتعوده بيتمان ، فاضطرب لتسرعه واقتنع ان اللياقة تفرض عليه ـ في اقل تقدير ـ ان لا يكون قاسياً لذلك الحد ، واجاب :

ـ اذا انت طرحت القضية على هذا الشكل ، اجدني مضطراً الى مرافقتك !

وادرك بيتمان اخيراً ان ثمة انقلاباً اسياسياً في نفسية صديقه ، وافكاره ، ومبادئه ، واتجاهاته ، ولكنه لم يلتقط الخطوط الدقيقة لهذا الانقلاب ، فراح يفكر في دراسة اوضاعه الجديدة ، والاطلاع على حقيقة صلاته بارنولد جاكسون ، وما يكمن وراءها من اسرار ، واخذ حينذاك يتحدث عن رحلته ، وما وقع له فيها ، وينتقل من السياسة الى الاعمال ، ويستعيد ذكرايات دراسته مع ادوار ... ثم ودعه وانصرف الى عمله على ان يعود اليه مساءً في الساعة الخامسة ليذهبا الى منزل جاكسون .

وجاءه في الموعد المحدد بسيارة يسوقها ، فقاده على طريق البحر ، حيث تقوم الاشجار والنباتات الجميلة الملونة ، حتى اذا وصلا استقبلتهما امرأة طويلة حسناء ، يبدو جيداً انها تاهيتية ،

www.ibtesamah.com/vb

فقدم لها بيتمان قائلًا :

ـ هذا هو صديقي المستر هنتر . جئناك لتناول العشاء معك يا لافينا .

ـ اهلًا وسهلًا . لم يعد بعد ارنولد الى البيت .

ـ سنذهب اذن ونستحم اولاً . اعطنا ثوبين اثنين .

دخلت المرأة الى البيت ، فسأل بيتمان :

ـ من هذه ؟

ـ هذه لافينا زوجة ارنولد .

كان ادوار في قمة الفرح ، يغني ويرقص ويضحك ، وهو في الحوض ، ذي الماء االضحل ، حتى اذا اقبل جاكسون ، خرجامن الماء واقتادهما الى غرفة اعد فيها الخوان ، ولم يكن لها سقف . ثم صاح جاكسون :

ـ إيفا ! تعالي وسلمي على صديق ادوار ، ثم اعـــدي لنا الكوكتيل .

واطل بيتمان من المنزل على المناظر الطبيعية الفاتنة ، فعجب لتلك الروعة في الطبيعة هناك ، وما هي إلا دقائق مرت وبيتمان مشدوه ، حتى جاءت فتاة لم يلحظهـا إلا عندمـــا قال له جاكسون :

ـ هذه هي ابنتي يا مستر هنتر !

www.ibtesamah.com/vb

وقف بيتمان فصافحها . كانت ذات عينين سوداوين نجلاوين فاتنتين ، وثغر احمر يموج بالرواء الضاحك وشعر جعد ينسدل على كتفيها في لون الفحم ، وقدمين عاريتين ، وعلى رأسها ضفيرة من الأزهار العطرة . كانت حقاً فاتنة ، تخلب لب من يراهـا ، وتبدو الاهة من الاهـــات الربيع في بولينيزيا . دعته للعشاء وقدمت له اكليلاً من الزهر .

وعندما انتهى العشاء جلس الرجال الثلاثـــة : جاكسون وادوار وبيتمان على الطنف (الفيراندا) . كان الطقس حـاراً ، والهواء مثقلا باريج الازهار البيض ، والقمر بدراً تاماً يبحر في سماء خالية من كل غيم ، فاخذ جاكسون يتحدث عن اهل تاهيتي ، وله صوت موسيقي رخيم ، ويروي من قصص الماضي كل طريف ، ويسرد بعض ما يعرف عن روايات الغرام والحرب والثـــأر واخبار الذين اكتشفوا هذه الجزيرة وما وقع لهم من مغامرات . ثم وقف فجأة وقال :

ـ انتما صديقان . وقد مضى عليكما زمن طويل لم يشاهـد خلاله احدكما الآخر . ها انا اتركما لاقوم بغزل بعض الاقطان . وانت يا ادوار تول بنفسك امر نوم صديقك ، ودله على سريره وغرفته .

قال بيتمان متعجباً ، مرتبكاً :

www.ibtesamah.com/vb

ـ انا لا افكر في قضاء الليل هنا .

ـ ستكون مرتاحاً هنا اكثر من اي مكان آخر . وسترى بنفسك ! اما اذا شئت ان انقلك الى الفندق ، فاني مستعد ساعة تريد ذلك .

وخرج جاكسون ، وبقي الصديقان معاً وجهاً لوجه . ساد الصمت بينهما اول الامر ، وراح بيتمان يفكر كيف يفتتح الحديث الذي تكبد مشاق السفر كلها من اجله ، والذي تبين له انه ضروري لحظة بعد لحظة ، من خلال انطباعاته الاخيرة عن وضع صديقه ، فسأله بغتة ، دون مقدمة او تمهيد :

ـ متى تعود الى شيكاغو ؟

تباطأ ادوار كثيراً في الجواب ، ثم ادار نظره في وجه صديقه ، وابتسم ، ثم قال :

ـ لا اعرف . ربما لا اعود ابداً .

ـ قل لي بالله ، ماذا تعني ؟

ـ انا جد سعيد هنا ، فهل اكون مجنوناً واقضي على سعادتي !

ـ ولكنك لا تستطيع ان تقضي حياتك كلها هنا . هذه ليست حياة رجل . انها الموت في صورة حياة . لقد فتنك المكان

www.ibtesamah.com/vb

يا ادوار ! ولكن هواء بلادك اعذب !يجب ان تتحرر من محيطك هذا ! تعال ولنذهب معاً ! كانت غلطة كبيرة ان تأتي الى هـذا المكان !

ـ اراك تتحدث عن هذا النوع من الحيـاة وذاك . قـل لي : كيف للمرء ان ينال من حياتـه اقصى مـا في وسعه ؟

ـ لا اظن ان ثمة جوابين عن هـذا السؤال : ان يقوم بواجبـه ، ويعمل بجد ، ويؤدي التزاماتـه نحـو دولته ومكانته .

ـ وما هي مكافأته على ذلك ؟

ـ مكافأته شعوره بانه انجز مـا وضع نصب عينيه ان ينجزه .

ـ كل هذا الذي تقوله يبدو لي شؤماً ونحساً . واخشى ان تحسبني اجتاز دور انحلال ، فهنالك عـدة اشياء كانت تبدو لي مشينة لسنوات ثلاث خلت ، ولكنهـا ليست هي اليوم كما كنت اراها .

ـ هل تعلمت ذلك من ارنولد جاكسون ؟

ـ انت لا تحب هذا الرجل . وربما كان من غير المتوقع ان تحبه . وقد كنت مثلك عندما قدمت الى هـذه الديار . كنت

www.ibtesamah.com/vb

احمل الافكار نفسها . وعندما عرفته شاقني منه انه لا يعرف الندم ، وانه صريح في مجانبته لكل ما هو اخلاقي . انه يتقبل كل شيء ، ويتقبل نفسه كما هي . وهو الى ذلك ، لطيف وكريم .

ـ انه كريم . ولكنه بمال غيره !

ـ انا اجده صديقاً في منتهى الاخلاص والطيبة . فهل ثمة ما هو غير طبيعي في ان آخذ انساناً ما كما اجده.

ـ النتيجة هي انك فقدت التمييز بين الخير والشر ..

ـ لا ! لقد بقيا منفصلين في ذهني بوضوح كما كانا من قبل ، غير اني صرت اخلط الى حد ما بين الخيّر من الرجال والشرير ، ولا اميز بينهما كثيراً . ايكون ارنولد جاكسون رجلاً شريراً وهو الذي يقوم باعمال خيرة ، ام هو رجل خير يقوم باعمال شريرة ؟ هذا سؤال عسير جوابه . ربما كنا نبالغ في التفريق بين رجل وآخر . وربما كان افضلنا من الخاطئين ، واردأ الرجال فينا من القديسين ! من يدري ؟

ـ لن تقنعني ابداً ان الابيض اسود ، والاسود ابيض !

ـ انا متأكد من هذا الذي تقوله يا بيتمان !

وسكت هنيهة ، ثم تابع حديثه :

www.ibtesamah.com/vb

– عندما رايتك في هذا الصباح ، خيل الي اني اشاهد نفسي لعامين مضيا : الياقة نفسها ، والحذاء نفسه ، والبزة الزرقاء نفسها والنشاط نفسه . لقد كنت والله نشيطاً اتدفق عزماً وحيوية ومضاء . ولكن اساليب هذا البلد التي تحمل على النوم والكسل ، خدرت دمي . كنت ادور هنا وهناك واتجول في كل مكان اعثر به على وسيلة الى الكسب والربح . وبدا لي ان في هذه الارض امكانات هائلة للثراء ، فمن السخف مثلاً ان تؤخذ الكوبرا (نوى الجوز الهندي المجففة) في اكياس الى امريكا ، وهناك يستخرج منها زيتها ، والقاعدة الاقتصادية السليمة ان تجري هذه الاعمال فوراً هنا ، فتفيد اليد العاملة في البلاد ، وتوفر الشحن واكلافه ، وتنشط معامل هذه الصناعة في الجزيرة . ثم ان الطريقة المتبعة في استخراج هذا الزيت عقيمة ، وقد اخترعت آلة يمكنها ان تستخرج زيت ٢٤٠ جوزة في الساعة . ولم يكن المرفأ واسعاً السعة الكافية المطلوبة ، فوضعت خطة لتوسيعه ، واخرى لايجاد نقابة تهتم باصلاح الارض وشرائها ، وبناء فندقين او ثلاثة فوقها ، بالاضافة الى بعض الدارات للزائرين والسياح والمقيمين مؤقتاً ، ولدي مشروع آخر للعناية بحركة السفر والمراكب التي تقل المسافرين الى تاهيتي ، فلا يمضي نحو عشرين سنة إلا وتتحول هذه البقعة من الارض الى مدينة اميركية

www.ibtesamah.com/vb

عامرة تزدهر فيهـــا الاوبرا ، والمسارح ، والمتاجـــر ، والمعاهد ..

ـ امض فيما وضعت من خطط . ها انت لديـــك الفكرة والوسائل والكفايات ، فلم تتقاعس ، وانت تستطيع أن تكون اغنى رجل بين اوستراليا واميركا .

قال بيتمان هذا الكلام ، وهو في ذروة حماسته ، فرد عليه ادوار ببرود :

ـ ولكني لا اريد ان اكون غنياً !

ـ اتعني بذلك انك لا تريد المال .. المـــال الكثير الذي يحسب بالملايين ؟ هل تعرف اي سلطان يمدك به ؟ وهل تدرك مدى ما يوفر لك من جاه وعظيمة ورفاهية ؟ وإذا انت كنت لا تهتم به لنفسك ، فكر انك تستطيع ان تخـــدم الآلاف من العاطلين عن العمل .

ـ لا يا عزيزي ! لقد احببت حياة هذه البلاد ، وما فيهـــا من يسر وبطالة ، كما احببت اهلها وما هم عليه من فطرة سليمة ، ووجوه ضاحكة تأتلق بنضرة النعيم . بدأت افكر ، ولم يكن لدي من قبل وقت للتفكير في مطالعة كتاب .

ـ ماذا تقدر في هذه الحياة إذن ؟

ـ اخاف ان تضحك مني ! اقدر فيها الجمـــال والخير

www.ibtesamah.com/vb

والحق !

ـ الا ترى انـــك تستطيع الحصول على هـــذه القيم في شيكاغو ؟

ـ ربما كان لغيري ان يحصل هناك عليها ، امـا انا فلا ! اني لارتجف وجلًا حين افكر في الخطر الذي اجتزته يوم كنت في تلك الارض ، اذ لم يسبق لي قط ان عرفت ان لي «روحاً» حتى وجدتها هنا . ولو اني بقيت رجلًا غنياً لخسرت روحي مرة واحدة والى الابد .

ـ لقد كنا نتحدث حول هذه الشؤون ، ونتجادل فيها مع الآخرين .

ـ نعم ! ولكنه كان كجدال الخرس والصم حول الموسيقى ! لن اعود ابداً الى شيكاغو يا بيتمان ؟

ـ وماذا في شأن ايزبيل ؟

طافت ابتسامة خفيفة على ثغر إدوار ، وغمرت محياه ، وبعد هدأة بدت طويلة ، قال :

ـ كانت ايزابيل لطيفة الى ما لا نهاية . وان اعجابي بهـا لا يقف عند حد ، ولها عقل راجح ، وجمال يضفي على عقلها بفتنـته والقه . وانا احترم مقدرتها وطموحها. وقد ولدت لتكون امرأة

www.ibtesamah.com/vb

« ناجحة » في حياتها . احس انيَ غير كفؤ لهـا ، بحال من الاحوال .

– انها ليست من رأيك في هذا الشأن !

– ولكن من واجبك ان تقول لها ذلك .

– انا آخر رجل يستطيع ان يقوم بهذه المهمة .

– ليس من الامانة ان تخبيء عنها شيئاً . انهـا من الفهم على جانب عظيم ، ولا بد لها ان تدرك كل شيء ! قل لهـا : اني لم اكن عند حسن ظنها ، واني لست فقيراوحسب ، وانما انامسرور بفقري . قل لها اني طردت من عملي لما اظهرت من بلادةو كسل . قل لها كل ما سمعت وما رأيت !..

– الا تريد ان تتزوج منها ؟

– لا املك ابداً ان تجعلني في حل منها . اذا كانت تصر على ان احتفظ بكلمتي وعهدي لها ، فسأبذل كل مـا في وسعي لأن ادبر لها زوجاً محباً ، قادرا على اسعادها .

– اتويدني يا ادوار على ابلاغها مثل هذه الرسالة ؟ ! كيف لي ان اجرح شعورها الرقيق على هذا النحو ؟

ابتسم ادوار ، وكان في ابتسامته كثير من البراءة والطهر والصفاء ، واحس بيتمان بطهرها ، فقال :

– ماذا تفعل اذا هي كتبت اليك ، ووضعت نهـاية

www.ibtesamah.com/vb

لارتباطها بك ؟

ـ لا شيء ، سوى ان اتزوج بدوري !

ـ ممن ؟

ـ من ابنة ارنولد جاكسون .

مادت اعصاب بيتمان للمفاجأة ، فصرخ :

ـ انت ! انت يا ادوار تفكر مثل هـــذا التفكير لا ! ليس في مستطاعك ان تقترن بابنة منبوذ محروم من حقوقه المدنية .

ـ ولم لا ؟ انها فتاة وديعة ، ناعمة . واحسب انها ستسعدني على اكمل ما تكون السعادة !

ـ هل تحبها؟

ـ لا ادري ! غير اني لا احبها على نحو مـــا كان امري مع ايزابيل . تلك كنت اعبدها ، واشعر اني غير كفؤ لها . امـــا إيفا فانها في نظري زهرة بريئة رقيقة تحتـــاج الى عوني وحمايتي. ولن اخذلها ابداً فيما علقت علي من آمال . وهي تليق بي ، كما اليق بها !

واشتد النعاس بالغريب المسافر ، وصديقه يتحدث اليـــه ، فقاده صديقه الى غرفة نومه ، وهو يقول له :

ـ كلنا نعرف ان الانسان لا يكسب شيئاً اذا هو ربح

www.ibtesamah.com/vb

العالم كله وخسر نفسه . وفي اعتقادي اني ربحت نفسي ، فلا ابالي بعد بالعالم !

ولم تمض عشر دقائق على رقاد بيتمان في سريره ، حتى شعر ادوار من انفاسه انه غفا ، وظل هو يتقلب في فراشه ، وتضطرب في ذهنه الوساوس ، حتى اخذه الضنى وغلب على وعيه لدى الفجر .

اما بيتمان ، فراح يقص على ايزابيل قصته الطويلة ، بعد العشاء الذي تناوله معها ، ولم يخف عنها إلا الاشياء التي حسب انها تجرح كرامتها او تسيء الى شعورها ، حتى اذا انتهى سألته عن ارنولد جاكسون :

ـ وكيف هي الفتاة ابنة خالي ارنولد ؟ هل وجدت شبهاً بيني وبينها ؟

دهش بيتمان لهذا السؤال :

ـ لم تثر في ادنى فضول او اهتمام ! وانك لتعرفين انني لا انظر الى فتاة في الدنيا سواك ، ولا اجد لك شبيهة ولو جبت العالم كله .

ـ هل هي جميلة ؟

ـ اظن ذلك ! ولم يخطر ببالي إن اوليها الانتباه لاصفها لك .

www.ibtesamah.com/vb

ـ يخيـــل الي انها جميـــلة ، وفي الرجال من يحسبها فاتنة .

ـ لا فائدة من البحث في شأنها . ولا اجد ان امرها يعنينا في كثير او قليل .

ـ نظرت ايزابيل الى خاتم الخطبة الذي تحمله بيدها ، وكان ادوار قد وضعه فيها ، فنزعته من اصبعها ، ووضعته على الطاولة امامها .

وراح بيتمان يراقب حركاتها بنهم في عينيه ، وائتلاق عـــلى وجهه ، حتى اذا فرغت ، ابتسمت وقالت :

ـ كيف لي ان اشكرك على ما فعلت من اجلي ؟! على هذه الخدمة الجليلة التي اديتها لي ؟ ! انت وحدك محل ثقتي !

ومدت اليه يدها ، فتناولها ، وقال :

ـ انت تعرفين يا ايزابيل انني كنت اريد الزواج منـك ، منذ اول يوم رأيتك فيه . انا اعبدك !

ـ ولم بالله لم تسألني عن رأيي في الموضوع ؟

لقد كانت تحبه ، وتشعر نحوه الشعور نفسه الذي كان ينطوي عليه تجاهها .

وقدمت له شفتيها الساحرتين فحملها بين ذراعيه وقبلهـا ،

www.ibtesamah.com/vb

وهـــو يتصور السيارات من مـاركة « هنتر » تمـــلأ الشوارع ، وملايين الطلبات تنهال على شركته، من مختلف انحاء العالم ..

وتنهدت ايزابيل ، وهو يضمها الى صدره ، وتصورت اثاث منزلها الفاخر المليء بالتحف القديمة وروائع اللوحـــات الفنية ، وحفلات الشاي الراقصة التي ستقيمها لارقى طبقات المجتمـع ، وتمتمت في سرها :

ـ مسكين ادوار !

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر نوفمبر 2019

www.ibtesamah.com/vb

- ٦ -

مايهيو

لم التق في حياتي كلها امرءاً ممتعاً ، شائقاً ، اكثر من مايهيو الذي كان محامياً بارعاً ، وناجحاً في ديترويت .

كان حين لقيته قد بلغ الخامسة والثلاثين من سنيه ، واصبح من الخبرة والمران في منزلة تعود بالربح الوفير ، اذ تكدست لديه الكفايات في ركام جعله على عتبة حياة مجيدة حافلة . وكان ذا فكر ثاقب ، وشخصية جذابة ، واستقامة يعرفها الجميع ، ولم يكن ثمة ما يمنعه من ان يصبح قوة نافذة من الوجهتين : الاقتصادية والسياسية في البلاد .

وفي ذات مساء كان جالساً مع فئة من اصدقائه في النادي الذي يرتاده ، وقد دارت الخمرة برؤوسهم بعض الشيء او كله . وكان فيهم رجل قدم حديثاً من ايطاليا ، راح يحدثهم انه رأى بيتاً قائماً على ربوة عالية في جزيرة كابري، وان هذا البيت يشرف على خليج نابولي ، وله حديقة رحبة وارفة . واسهب ،واطنب، وهو يصف لهم اجمل جزيرة في البحر المتوسط . فسأله مايهيو :

www.ibtesamah.com/vb

– يلوح لى انها جزيرة بديعة . وهل ذلك البيت الذي وصفت معد للبيع ؟

– كل شيء في ايطاليا برسم البيع !

– فلنبرق إذن ، ونتقدم بطلب شرائه .

– وما تفعل – لك الله ! – ببيت في كابري؟

اجاب مايهيو بكل بساطة :

– اعيش فيه .

ثم وضع صيغة البرقية ، وارسلها لتوه . وبعد ساعات قليلة ، رجع الجواب بالقبول .

لم يكن مايهيو خبيث السريرة ، اذا اعلن بكل صراحة انه ما كان يقدم على مثل هذه الخطوة ، لو انه كان حين ارسل البرقية مالكاً جميع قواه العقلية ، ولكنه ما دام قد فعل ، فهو غير آسف ، وهو الذي لم يكن سريع التأثر ، ولا عرف عنه انه عاطفي المزاج ، وانما كان رجل صدق ونبالة . ولذا ، لن يتابع السير ، تظاهراً منه بشجاعة زائفة ، في طريق تبينت له من بعد انها غير حكيمة ، وانما سيمضي في تنفيذ برقيته ، جرياً مع طبيعته الصادقة . وهو ليس ممن يهتمون بالمال ، ولديه ما يكفيه لان يحيا في ايطاليا حياة مرضية ، وهو الذي كان يحسب ان في استطاعته ان يستخدم حياته في اداء اعمال اخرى ، غير انفاقها في كتابة لوائح الادعاء والدفاع التي تمليها عليه خصومات التافهين

www.ibtesamah.com/vb

من الناس .

لم تكن لديه خطة واضحة ، وإنما كان يبغي ، كل ما يبغي ، مجرد الخروج من حياة اعطته كل ما يمكنها ان تقدم له . وفي ظني ان اصدقاءه حسبوه مخبولاً ، إذ بذل بعضهم اقصى ما في وسعهم لفسخ عزيمته ، وتحويله عن اتجاهه الجديد ، ولكنه صفّى اعماله ، وحزم امتعته وسافر الى كابري .

وليست كابري سوى صخرة هزيلة شاحبة ، ذات منظر كالح تغتسل في بحر عميق ازرق . ولكن كرومها الباسمة الخضراء تجعلها على جانب رائع من الرقة والعذوبة . وهي الى ذلك ، ودود عطوف ، نائية صدوف ، وقد عجبت ان يستقر مايهيو في هاتيك الجزيرة الساحرة . لانني لم اعرف قط امرءاً أبعد منه عن التأثر بالجمال والسعي وراءه ، ولا ادري اي شيء ينشد هناك السعادة ، سعادة الحب ، ام الحرية ، ام مجرد الفراغ والاستمتاع بالتأمل ، وانما اعرف ماذا وجد فيها : لقد عاش في ذلك المكان الذي يستثير الحواس استثارة مفرطة ، حياة روحية خالصة ، وذلك لأن الجزيرة غنية بالذكريات التاريخية ، وعلى رأسها تقوم ابداً ذكرى الامبراطور طيباريوس التي لم تزل ، حتى يومنا هذا ، لغزاً غامضاً .

كان مايهيو يشرف من شبابيك منزله على خليج نابولي وجبل فيزوف ذي الشكل النبيل الذي كان يتغير لونه بتغير النور ، ويطل على مئات الامكنة التي تذكره بالرومان والاغريق ...

www.ibtesamah.com/vb

وهكذا اصبح الماضي يطوف به ، واصبح كل ما يقع عليه نظره ـ وهو الذي لم يسافر قط من قبل ـ يحرك في اعماقه الخيال الخلاق .

لقد كان رجلاً قوياً ينشط للعمل ويأنس به ، ولا يطيق الفراغ . وها هو الآن يصمم على كتابة تاريخ ، ولكنه لم يجد الموضوع بعد ، فراح يقضي اوقاته في البحث عنه ، حتى قرّ به الرأي اخيراً على تناول القرن الثاني للامبراطورية الرومانية ، وهو المجهول في معظمه لدى معظم الناس والباحثين ، وبدا له فيه من المشاكل ما هو شبيه كل الشبه ، بمشاكل عصرنا الراهن .

واوغل يجمع المصادر والوثائق حتى تكونت لديه في ايام قليلة مكتبة ضخمة حافلة بالنفائس والغرائب . وكانت مهنته الحقوقية قد علمته القراءة السريعة ، واخيراً شرع في عمله . بيد انه كان قد تعود في مستهل قدومه الى الجزيرة ، ان يلاقي الرسامين والادباء ومن اليهم ، لدى كل مساء ، في قبو صغير قرب بيازا ، فانسحب في الآونة الأخيرة من حلقاتهم ، وانصرف الى دراساته التي اخذت تلح عليه اكثر من اي وقت مضى بالتخلي عن العالم ، والتفرغ اليها . وكان قد تعود ايضاً الاستحمام في ذلك البحر اللطيف المنعش ، والطواف الطويل في الكروم

www.ibtesamah.com/vb

البهيجة المبهجة ، ولكنه اخذ رويدا رويداً ، ينقطع عن عاداته هذه متذمراً من ضيق الوقت . ويعمل على نحو اشق مما كان يعمل في ديترويت .

كان عليه ان يسافر عند الظهيرة ، ويشتغل طوال الليل الى ان يسمع صفارة المركب الذي يقلع من كابري الى نابولي، تخبره ان الساعة اصبحت في الخامسة صباحاً ، وان وقت نومه حان . وكانت آفاق موضوعه تتكشف وتنفتح امامه اوسع فاوسع ، واغنى فاغنى ، وهو يتصور ان السّفر الذي سيخرج من بين يديه ، سيضعه على قدم المساواة مع اعظم المؤرخين الذين عرفتهم العصور السالفة . وكان يزداد اعتزاله كلما تقدمت به الايام حتى لم يبق في الناس من يلقاه ، إلا في النزر النادر ، ولم يكن من سبيل الى اغرائه بترك العمل إلا بلعبة شطرنج او مناقشة احد العلماء ، وقد اصبح يحب حك دماغه بدماغ آخر ، كما اصبح على اطلاع واسع لا بالتاريخ وحسب، بل بالعلوم ايضاً والفلسفة بالاضافة الى مهارة فائقة في التحدث ، وسرعة البديهة وسلامة المنطق ، والتقرير الحاسم للقضايا . غير انه كان ذا لطف وظرف في احتكاكه بغيره ، فهو وان كان يجد متعة انسانية في التغلب على خصومه ، يربأ بنفسه عن الغلو في استثمار غلبته ، وارهاق الذين يظفر بهم من منافريه .

www.ibtesamah.com/vb

وكان عندما قدم لأول مرة الى الجزيرة ، رجـــلاً ضخم الهيكل ، اسمر اللون ذا لحية سوداء ، وشعر كثيف ، وصحة قوية ، ولكن بشرته اصبحت رويداً رويداً شاحبة وتحول عن ضخامته الى نحافة وهزال . وكان من ابرز نقائضه الغريبة ، انه وهو اكثر الناس تشدداً في الأخذ بالمنطق ، وارسخهم إيمانا وتحمساً للمذهب المادي ، كان يحتقر الجسد ، ويعتبره اداة وضيعة يستطيع ان يرغمها على اداء مطالب الروح . ثم لم يكن المرض ولا التعب ليمنعاه من متابعة عمله ، والسير به نحو الغاية التي وضعها نصب عينيه . وقد ظل يبذل جهوده مدة اربع عشرة سنة يعمـــل بلا كلل ولا ملل ، وضع خلالها آلاف الملاحظات والمذكرات والتعليقات ونسقها وبوبها وحرص على تنظيمها ، حتى إذا تمكن جيداً من موضوعه ، واصبح في متناول اصابعه . شرع اخيراً في الكتابة ، وجلس ليضع سفره النفيس في الصيغة التي يرضاها . وفي اللحظة التي جلس بها جلسته تلك ، مات .

لقد اخذ منه الجسد الذي كان يعامله — وهو المـــادي المؤمن بماديته — باحتقار ، اخذ منه جسده بثأره .

وكان ركام المعرفة الذي قضى عمره في تكديسه قد ضاع الى الأبد ، كما كان طموحه في ان يضع اسمه الى جانب اسماء المؤرخين الكبار ، عبثاً في عبث ، وان لم يكن — بكل تأكيد — طموحاً

www.ibtesamah.com/vb

وضيعاً . وقد احتفظ اصدقـــاؤه القليلون بذكراه في قلوبهم ، وراحوا يقلون ــ يا للحسرة ! ــ يوماً بعد يوم ، وظل مجهولاً بعد موته كما كان مجهولاً في حياته .

غير اني لا ازال ارى ان حياته كانت موفقة ، فهـو طراز رفيع كامل . لقد فعل ما اراد ان يفعله ، ومـــات في الوقت الـــذي ما زال فيه هدفه امـــام عينيه ، ولم يعرف مرارة تحقيقه !

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر نوفمبر 2019

www.ibtesamah.com/vb

- ٧ -

سلفاتور

عرفت سلفاتور لأول مرة ، حين كان بعد غلاماً في الخامسة عشرة من سنيه ، وكان ذا طلعة مؤنسة وان دميمـــة ، وثغر ضاحك ، وعينين ساجيتين ، منطلقتين في ابعاد الفضاء، وله شخصية محببة ناعمة يخلع الرواء عليها جسم ناحل ، غـــاية في النحول ، وسمرة في اللون يرتاح اليها كل من يراها . وما شوهد قـــط إلا غاطساً في البحر ، او راكباً زورقه فوقه ، او عائماً على سطحه ، او سابحاً مع امواجه ، شأنه في ذلك شأن غيره من ابناء الصيادين الذين لا يضعون حـــذاء في ارجلهم ، إلا يوم الاحـــد من كل اسبوع .

وكان ابوه صياداً يتمتع بامتياز خـاص ، هو امتلاكه كرم العنب الذي يؤويه ، وسلفاتور يقوم بدور المربيـــة الحنون لاخويه الصغيرين : يناديهم حين يبتعدون عن الشط ، ويلبسهم ثيابهم لدى الظهيرة ، كلما حان موعد الغداء والصعود الى المكان الحار في اعلى الربوة .

www.ibtesamah.com/vb

وكان الصبيان يكبرون بسرعة غريبة في تلـــك المناطق الجنوبية ، فلم يمض زمن قليل على سلفاتور حتى هام بفتاة كانت تعيش في غراند مارينا ، هياماً ملك عليه افكاره ، واستحوذ على كيانه ، وهي الجميلة الرقيقة ، ذات عينين نجـلاوين تشبهان برك الغابات ، ولها من الدل إذ تخطر ، مـــا يجعلها شبيهة ببنات القياصرة .

ثم خطبها ، ولكن سلفاتور لا يستطيـع ان يتزوج قبل القيام بالخدمة العسكرية . وعندما غادر الجزيرة التي لم يغادرها قط في حياتـه ، ليصبح بحاراً في اسطول الملك فيكتور عمانوئيـل ، بكى كما يبكي الطفل الرضيـع ، اذ كان من العسير على فتى عاش حياته طليقاً كالعصفور ، ان يتحول بين عشية وضحاها الى جندي يتصرف غيره بحياتـــه ، ولا يقوى على ابداء ادنى اعتراض او ملاحظة على ما يطلب منه او يؤمر به . وكان اعسر من ذلك ان يعيش في المركب الحربي مع اناس غرباء عنه ، بدلاً من ان يحيا مطمئناً في كوخه الصغير القائم بـين الدوالي والكروم . ولذا احس بغربة كان لها وقع الفاجعة في نفسه عندما نزل الى المدن الصاخبة ، وقوى به الحنين الى هدأة حياته ، ومرابـع وطنـه ، ومغاني صباه ، واشتد حنينه حتى بلغ ذروته إلى تلك الفتاة الـتي احبها بكل ما في قلبه الشاب من فتوة وعاطفة وحماسة . وراح

www.ibtesamah.com/vb

يكتب اليها (بخطه الصبياني) رسائل طويلة ، يخبرهـــا فيها عن مدى تعلقه بهـــا ، وكثرة تفكيره فيها وتصوره الدائم لها، وشدة شوقه اليها .

ولقد طوفوا به هنا وهناك ، بين سبيزيا والبندقيـــة ، ومن باري الى الصين ، وفي الصين اصابته علة خفية اضطر معها الى قضاء بضعة اشهر في المستشفى . وكان منه ان تحمل علتـــه بصمت عجيب ، وصبر قل ان يعرفه ابناء آدم ، حتى اذا علم ان علتـه إنما كانت ضرباً من الروماتزم جعله غير صالح للاعمال العسكرية، وثب قلبه فرحاً ، فذلك يعني انه قد اصبح في استطاعته ان يعود الى وطنه ، ولم يزعجه ما قاله الاطباء، او هو لم يعره الانتبـاه ، ولم يسمعه حين حذره من حالته الصحية ، واخبروه انه لن يسترد ابـداً عافيته . ماذا يهمه من هذه الاقوال ، مـــا دام راجعاً الى جزيرته الصغيرة التي يحبها ، والى الفتاة الـــتي تنتظر عودته ؟!

وعندما بلغ المركب الذي اقله ساحل جزيرته الحبيبة ، اطل فوقع نظره على ابيه وامه اللذين كانا ينتظرانه ، وبجانبهما اخواه الصغيران اللذان كبرا الآن ، ولوح لهم بيده . ثم اخـــذ نظره يجول في الجمهور باحثاً عن الفتاة ، ولكنه لم يعثر عليها .. وكان للقبل التي استقبل بها الناس غائبيهم اصواتها في الفضاء، وهم يتبادلون

www.ibtesamah.com/vb

التهاني فيما بينهم ، لحظة نزل من المركب ..

وسأل : اين الفتاة ، فأجابته امه انها لا تعرف ، وانها انقطعت عن زيارتهم منذ اسبوعين او ثلاثة ، حتى إذا اقبل المساء ، ونشر القمر اضواءه الفضية على البحر الساجي ، وائتلقت انوار نابولي من بعيد في الفضاء الرائق ، نزل الى غراند مارينا ، قاصداً منزلها .

ولقيها جالسة على عتبة الباب مع والدتها ، فارتبك واحمر خداه ، إذ مر عليه زمن طويل لم يشاهدها خلاله ، وسألها عما إذا كانت قد تلقت الرسالة الأخيرة التي يخبرها فيها عن عودته الى الوطن .

وكان الجواب : نعم ! تلقوا الرسالة ، ولكن غلاماً آخر من ابناء الجزيرة اخبرهم انه وقع مريضاً . ولهذا عاد الى بلدته . اليس من حسن الحظ ان يعود ؟

نعم ! ولكنهم سمعوا انه لن يسترد ابداً عافيته . واذا كان الاطباء يعرفون كثيراً ، ويقولون ما لا يعرفون ، فهو واثق الآن كل الثقة انه سيسترد قواه ، ما دام قد اصبح في وطنه وبين اهله .

خيم الصمت عليهم برهة من الوقت . ثم وكزت الأم ابنتها ، فما كان من هذه إلا ان صارحته دون مواربة ، ولم تبذل اقل

www.ibtesamah.com/vb

محاولة لتخفيف الصدمة او تلطيف الجو ،واخبرته انها لا تستطيع بحال الزواج من فتى لا يملك القدرة على العمل ، ولا القوة التي تجعله رجلًا ، وانهم قد حزموا امرهم : هي وامها وابوها على رفض يده ، ولن يوافق والدها بعد ابداً على اقترانها به .

وعندما بلغ سلفاتور المنزل وجد ان اهله كانوا جميعهم على علم بالامر ، إذ جاءهم والد الفتاة منذ اسابيع ، وانهى اليهم القرار الذي اتخذه بموافقة ابنته وامها ، ولكن اهله لم يملكوا الشجاعة على اطلاعه بانفسهم ، فبكى الشاب في حضن امه بكاء مراً ، وشعر بالم عميق لا يوصف ، ولكنه لم يوجه الى فتاته لوماً ، ولا استنزل عليها اللعنة .

ذلك بأن حياة الصياد شاقة ، وهي تحتاج اكثر مما تحتاج الى جلد وبأس وقوة ، وكان يعرف ان الفتاة ، اية فتاة ، لا ترضى بالزواج من امريء لا يستطيع اعالتها ، ولكن ابتسامته فقدت اشراقها الدافيء ، وانقلبت حزينة ، مريرة ، فاترة . اما نظراته ، فكانت اشبه ما تكون بنظرات كلب ضرب ضربات موجعة . ولم يؤثر عنه انه شكا او تململ او تفوه بكلمة تسيء الى الفتاة التي احبها من صميم قلبه .

ثم .. فاجأته والدته ذات يوم ، بعد مضي عدة اشهر على

www.ibtesamah.com/vb

عودته واستقراره ، بهذا الخبر ، وهو ان ثمة امرأة شابة في القرية تدعى « آصونتا » اعلنت عن رغبتها في الزواج منه ، فرد عليها قائلًا :

ـ انها دميمة كالشيطان !

كانت اكبر منه باربع او خمس وعشرين سنة ، وسبق لها ان خطبت الى رجل مات في افريقيا ، اثناء قيامه بخدمته العسكرية ، غير ان لديها قليلًا من المال ادخرته واصبحت به ثرية إذا قيست بغيرها من نساء القرية ، فاذا قبل سلفاتور الزواج منها استطاعت ان تشتري له مركباً خاصاً وان « تضمن » كرماً للعنب لم يجد في ذلك الوقت ـ لحسن الحظ ـ من يضمنه . وقد أسرت اليه امه ان آصونتا بصرت به في العيد ، ووقعت لفورها في حبه .

لم يشأ سلفاتور ان يعطي قراراً نهائياً ، وكل ما فعله ان ابتسم ابتسامته الخلابة ، وارجأ البت بالأمر الى وقت آخر . وفي يوم الاحد التالي ، لبس اجمل ما عنده من ثياب ، وذهب الى الكنيسة حيث جلس في موضع يستطيع ان يشاهد منه كل شخص يفد او يخرج ، وعندما رأى المرأة « الشابة » ، تملى منها جيدا ، و مذ وصل الى منزله ، اخبر والدته انه « موافق » .

www.ibtesamah.com/vb

وكان ان تزوجا ، واقاما في بيت ابيض ، ناصع البياض ، وسط كرم جميل ، منمنم . وبقي سلفاتور ، رغم طوله الذي شمخ ، وهيكله الذي ضخم ، على ابتسامته الرقيقة الناعمة ، ونظراته البريئة المحببة التي كان يمتاز به وهو صبي . وما كان في قريته قط من يشبهه في حسن تصرفه، وطرائق تهذيبه الرفيع. اما آصونتا ، فكانت واحدة من اولئك الاناث الكالحات الوجوه ، القويات من ذوات العزائم والبأس النسائي الخاص ، ولها مظهر يزيد سنها كبراً على كبر . غير انها كانت مع ذلك ، طيبة السريرة ، طاهرة القلب، نواراً(١) . وكنت آنس الى ابتسامتها الصغيرة التي تعبر بها عن اعجابها واخلاصها لزوجها حين يتصرف برجولة ومقدرة ، ولم تنفك لحظة عن التأثر بعذوبته ولطف حركاته، ولكنها لم تكن قادرة على غلبة الفتاة التي نبذته، ولا كانت تتعرض لها إلا بما يجرح ويسيء ، رغم اعتراضات سلفاتور واحتجاجاته الباسمة الهادئة .

ها هما الآن اصبحا ابوين، وجاء الاولاد عبئاً ثقيلاً على سلفاتور : حياته شاقة ، وعمله لا يدر ما يسمح له بتوفير اسباب الرغد ، إذ كان عليه ، طيلة موسم الصيد ، ان يلتصق بزورقه كل مساء ، ويمسي مع احد اخوته في عرض البحر ، بحثاً عن اماكن تجمع السمك . وكانت كل رحلة تمتد مسافة ستة اميال او سبعة ، كما

---

(١) النوار : المرأة النفور من الريبة .

www.ibtesamah.com/vb

كان عليه ان يسهر الليل كله ، سعيا وراء نوع من السمك اغلى من سائر انواعه ، ثم يعود بمجذافه سريعاً كي يبيع صيده في وقت باكر ، ويتمكن من الوصول الى نابولي قبل غيره .

وكان عليه في المواسم الأخرى ان يعمل في كرمه منذ بزوغ الفجر حتى الظهيرة ، اي ساعة يضطره الحر كرها الى ترك العمل والاستراحة ، حتى اذا خفت وطأة الهجيرة ، عاد ثانية الى الغبار وعاد عرقه يتصبب.

وغالباً ما كانت علته تمنعه من القيام باي جهد ، فينطرح إذ ذاك على الشط يدخن السيكارة تلو السيكارة ، ويلقي بكلمة لطيفة من حوله ، رغم الالم الذي يثقل حركة شفتيه .

وكان الاجانب الذين يقصدون تلك الناحية ، قصد الاستحمام ، يقولون اذ يبصرونه : ان صيادي ايطاليا شياطين كسالى .

وكان سلفاتور يأتي بولديه — وهما صبيان — ويأخذ في تغسيلهما ويغطس اكبرهما البالغ الثلاث من عمره، تحت الماء ، وهو جالس على صخرة في الشط ، بينما يحمل الصغير على راحة كفه ويأخذ في رفعها وإنزالها ، ويضحك اثناء ذلك ضحكة ملاك مسرور . وعيناه تشعان صفاء وبراءة كعيون طفليه .

www.ibtesamah.com/vb

لا اعرف لم اثار ذلك الرجل اعجابي . وقد اردت ان اقص عليك لأرى فيما إذا كان بمستطاعي ان اجذب انتباهك نحو صياد عادي لم يكن يملك شيئاً من حطام الدنيا ، سوى صفة هي اثمن واندر ما يتاح لامرىء في الدنيا ان يملك : البراءة ! كل ما اعرف انها كانت تشرق وتشع ، وهو لا يعي من امرها شيئاً .

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر نوفمبر 2019

www.ibtesamah.com/vb

- ٨ -

تلك التي لم تغلب

أضاع ويللي كرفيقه هانز ، الطريق الى المعسكر ، فوقفا يسألان فلاحاً كان يعمل في حقله عن السكة إلى سواسون ، ولكنه عوضاً عن أن يهديهما ضللهما ، ووجدا أنفسهما على جانب طريق آخر ، يؤدي إلى مزرعة ، فدخلاها وتوقفا يسألان عن وجهة السير التي توصلهما إلى مكان يعرفانه .

وكانت أوامر القيادة صريحة صارمة ، هي أن يعامل الجنود أبناء الشعب الفرنسي بالحسنى ، ما دام هؤلاء يحسنون السلوك مع قوات الاحتلال ، ولذا ألقى الجنديان سؤالهما بكل أدب ، وفتحت الباب لهما فتاة أجابت أنها لا تعرف طريق سواسون ، فكان منهما أن دفعا الباب وولجا البيت ، فأبصرا امرأة ظنّ هانز أنها أم الفتاة ، وكان الثلاثة : الأب والأم والفتاة قد فرغا في تلك اللحظة من عشائهم ، وبقيت قنينة نصف ملأى من النبيذ على الخوان ، تحركت لمرآها شهية هانز ، وتذكر أنه ظامىء ظمأ شيطانياً ، فقد مرّ عليه اليوم بحره الشديد ، ولم يشرب شيئاً منذ الظهيرة .

www.ibtesamah.com/vb

فطلب الى القوم أن يقدموا له قنينة من النبيذ ، وأضاف ويللي أنهما مستعدان لدفع ثمنها أكثر مما يطلبون .

الحقيقة أن ويللي شاب رقيق الحاشية ، مهذب اللسان . لقد كانوا بعد كل حساب ، هم الذين غلبوا ودحروا الجيش الفرنسي. أين كان هذا الجيش ؟ لقد ولى الأدبار ، ولاذ بالانسحاب على طول الجبهة ، والانكليز تركوا كل شيء وراءهم ، وقبعوا في جزيرتهم كالأرانب . والفاتحون يأخذون ما يريدون . ألا يحق لهم أن يأخذوه ؟ ثم ان ويللي أقام في باريس يعمل خياطاً مدة عامين أو أكثر ، ولذا ، فإنه يتقن التكلم بالفرنسية ، وهو الآن في جيش الفوهرر فما الذي ساق اليه هذه النعمة ؟ لا بد أن يكون قد قـــام بإحدى الخدمات ، فارتفعت منزلته . يا له من شعب أصيب بالانحلال ! وليس للألماني من خير في أن يعيش معه !

لم يكن من زوجة الفلاح الا أن أتت بقنينتي نبيذ ووضعتهما على الخوان ، وتناول ويللي عشرين فرنكاً من جيبه وأعطاهـــا إياها ، فلم تتنازل حتى لشكره ، أو قول كلمة تنم عـــن ارتياح .

وكانت فرنسية هانز ضعيفة ، وهو يعمل على تقويتها ، الا ان هؤلاء الفرنسيين الثلاثة لا يريدون ملاقاته في منتصف الطريق . وراح يحدثهم عن نفسه ، ويخبرهم أنه ابن مزارع ، وانه سيعود

www.ibtesamah.com/vb

الى مزرعته عندما تنتهي الحرب ، وقد أرسل الى المدرسة في مونيخ لأن أمه أرادته على مراس الأعمال التجارية ، ومذ كانت هذه الأعمال لا توافق ميوله ، رجع إلى كلية الزراعة . وهنا ، قالت له الفتاة :

– جئت لتسأل هنا عن طريقك ، وقد أصبحت تعرفها . إشرب نبيذك الآن واذهب !

لم يكن لينظر اليها من قبل ، أو يهتم بها . ولكنها لفتت نظره حين تكلمت : لم تكن جميلة ، وانما لها عينان سوداوان عميقتان ، ساحرتان ، وانف مستقيم ، ووجهها شاحب ، وثيابها أنيقة ، ومظهرها لا ينبىء عن حقيقة شخصيتها . وقد أخذ يسمع كثيراً عن الفتيات الفرنسيات منذ اندلعت الحرب ، وكل ما يقوم في ذهنه عنهن أنهن مرتزقات لا يرفضن يد لامس ، وفيهن من الطلاوات ما لا مثيل له عند الفتيات الألمانيات .

وقطع ويللي الصمت الذي ساد ، فقال يخاطب هانز :

– إفرغ من نبيذك ولنذهب !

ولكن هانز لم يكن متعجلاً ، فوجه خطابه للآنسة :

– أنت لا تشبهين ابنة فلاح !

– ثم ماذا ؟

أجابته بشيء من النفرة ، وردت عليه أمها ، تلطف الموقف :

www.ibtesamah.com/vb

– انها معلمة !

وتابع حديثه بفرنسيته السقيمة ، والفتاة تهز كتفيها :

– أنت اذن مثقفة . ومن واجبك ان تفهمي ان هـذا الذي حدث هو أفضل ما أصاب الشعب الفرنسي في حياته كلّها . نحن لم نعلن الحرب . أنتم الذين شهرتموها بوجوهنا . وهـا نحن بصدد جعل هذه البلاد رزينة معتدلة السياسة ، وسننظمها من جديد ، ونعلمكم العمل ، وستتعلمون الطاعة والانضباط أيضاً .

رفعت قبضتيها بوجهه ، ونظرت اليه بعينيها السوداوين حاقدة ، ولم تفه بكلمة .

فقال ويللي :

– أنت سكران يا هانز !

وصرخت الفتاة ، ولم تقو بعد على امتلاك غيظها :

– إنه على صواب . انت سكران . أخرج الآن . أخرج !

تقدم نحوها مهتاجاً ، وهو يعربد :

– أنت تفهمين الألمانية ! سأذهب ولكن عليك أن تعطيني قبلة أولاً .

ورجعت الى الوراء خطوة تتحامى بها هجومه عليها ، ثم صرخت تنادي أباها الذي هرع يدافع عنها ، فتركها هانز ومال اليه بكل قوته وضربه فطرحه أرضاً ، وقبل أن تتمكن من الهرب ،

www.ibtesamah.com/vb

أمسك بها وطوقها ، فامتدت يدها إلى خده بصفعة زاد لها هياجه لم يلبث على أثرها أن كتف ذراعيها ، وساقها خارج المنزل ، دون أن تقوى امها على عرقلة خطته ، ثم وضع يده على فمها منعاً لها من الصراخ .

هذا ما جرى . وبعد قليل عاد فألقى الى الأم التي ما تزال مسمرة قرب الحائط بورقة المائة فرنك، على الخوان ، وخرج مع زميله ويللي . وخرجت الأم تتفقد ابنتهـــا فوجدتها ممددة على الديوان تبكي ، وتبكي بحرقة ومرارة ، تفتت الأكباد .

وبعد ثلاثة اشهر وجد هانز نفسه ثانية في سواسون ، وكان قد دخل باريس مع الفاتحين ، ودار حول قوس النصر بموتوسيكله وتقدم نحو تور ، ومنها الى بوردو . ولم يشاهد في غزوات جيشه سوى نفر قليل يكاد لا يذكر من المحـاربين الفرنسيين ، واكثر الذين شاهدهم كانوا من الأسرى. وقضى شهراً بعد الهدنة في باريس واعيد الى سواسون مع وحدته .

وكان ان جاء في يوم من ايام ايلول الى المزرعة ، ومـا كاد يصل حتى نبـــح الكلب . كانت الفتاة جالسة على الطاولة تقشر البطاطس ، فوثبت واقفة متحفزة حين بصرت بالبزة العسكرية ، وصرخت :

ـ ماذا تريد ؟

www.ibtesamah.com/vb

وحين عرفته صاحت ، وقد حملت السكين بيدها ، وتراجعت بضع خطوات الى الوراء :

ـ اهذا انت ؟ كوشون ! (يا خنزير !)

ـ لا تثوري ! لن اؤذيك ابداً. انظري! لقد جئتك بجوارب حريرية ، ولا تخافي مني .

ـ انا لا اخاف منك !

وتركت سكينها يقع على الارض ، فنزع خوذته عن رأسه وجلس ، ثم سحب السكين برجله نحوه ، وقال :

ـ هل اقشر لك حبات البطاطس ؟

وانحنى على الارض فتناول حبة ، وراح يشتغل بها ، وهي تنظر اليه مؤنبة ، حاقدة ، حتى إذا فرغ صبرها ، قالت له :

ـ اخرج من هنا ! واذا لم تخرج ، فسيذهب والدي الى سواسون ، ويشكوك للقائد .

ـ حباً وكرامة! صدرت الينا الاوامر بالتودد الى الاهالي . ما هو اسمك ؟

ـ هذا ليس من شأنك .

ـ اين هما ابوك وامك ؟

ـ انهما في الحقل يعملان .

www.ibtesamah.com/vb

ـ انا جائع . هل لك ان تطعميني بعض الخبز والجبن والنبيذ ، وادفع لك الثمن .

ـ اننا لم نر الجبن منذ ثلاثة اشهر ، وليس لدينا من الخبز ما يكفي لقوتنا .

ـ سأحضر لك عما قريب كل ما تناله يدي من اطعمة .
ـ لا اريد هداياك . افضل ان اموت جوعاً على ان امس شيئاً مما تأتي به . لقد سرقتم خيرات بلادنا وجئت تمن علي بما تنوي ان تقدمه .

ـ سنرى في المستقبل ! انا لست يا آنسة فتى خبيثاً ، وستجدين مني ما يسرك !

وجاء بعد عشرة ايام يحمل علب اللحم والجبن في صرة كبيرة ، وحين دخل رأى الام والاب وحدهما فاخذ يفك الصرة ، ويعرض ما فيها ، وبينا هو يقوم بهذا العمل ، دخلت الفتاة ، وسمعته يعتذر لابويها عما بدر منه اول مرة ، وهما يصغيان اليه ويراقبان ما جاء به في لهفة ، ففاجأته صارخة .

ثم راحت تبعثر الاشياء التي احضرها ، وتقذفه بها ، فتدخلت امها ، وقالت :

ـ انت مخبولة يا آنيت !

www.ibtesamah.com/vb

ـ لا ! انا لا اريد اخذ شيء من هداياه !

ـ انها الاطعمة التي سلبونا اياها . تأملي السردين ، فهـو سردين بوردو .

واغتنم هانز هذه الفرصة ، فقال ، وهو يقذف بالعلب نحـو الام ، ويسير بعضها نحو الاب :

ـ لم لا نستطيع ان نكون اصدقاء ؟ وما مضى فات ، ولا سبيل الى الرجوع عنه . امـا الحرب فانها الحرب ، وكلكم تعرفون ماذا اقصد . احب ان تغير آنيت نظرتهـا الي ، فانا سأبقى زمناً في سواسون وبامـكاني ان اقدم لكم كثيراً من المعونة في هذه الظروف القاسية ، وسأحـترم آنيت كما لو كانت اختي .

سألته آنيت :

ـ ولماذا تريد المجيء ؟ لماذا لا تتركنا نحيا وحدنا ؟

الواقع انه لا يعرف ، وليس في امكانه ان يعلن عن حاجتـه الدفينة الى قليل من المودة والعاطفة ، لا سيما انه كان يعيش مع رفاقه في سواسون محاطاً بالكراهية والحقد ، ولم يكن تعلقـه بآنيت عن هوى او اعجاب ، فهي ليست من الفتيات اللواتي يرقنه ، لانها سوداء العينين ، الى القصر اقرب ، ناحلة البدن ، وهو يحب

www.ibtesamah.com/vb

العيون الزرق ، والقامة الطويلة ، والاجسام القوية . ولو انه كان ملء وعيه ، ولم تأخذه نشوة الظفر ، ولم يكرع من الخمرة ما بلبله ، لما كان له معها اي شأن ، ولا خطر بباله ان يتعرض لها بشيء .

وجاء بعد اسبوعين الى المزرعة فلقي الام وحدها ، وقدم لها السكر والجبن والقهوة والسمن وبعض اللحوم المجففة ، ثم اقتادته الى المطبخ ، حيث عرضت عليه بعض النبيذ وهي تترصد ما يجري في الخارج من الشباك ، فعلم هانز انها تريد ان تتأكد من عدم قدوم آنيت . وتحدثا طويلاً .. وعرف منها فيما عرف ان اسمها « مدام بيريه » وان لها ابناً ذهب الى الجبهة وانقطعت اخباره مما يدعو الى الاعتقاد انه هلك . لم يقتل وإنما اصيب بذات الرئة ... ثم لم يسمع عنه من بعد شيء .

وكان هانز محظوظاً ، إذ نقل الى عمل يستطيع به ان يختلف الى المزرعة اكثر من ذي قبل ، فكان يأتي غالباً ، ولكنه لا يلتقي آنيت ، واذا التقاها حاول ان يلطف من نظرتها اليه ، وان لا يسيء الى شعورها اياً كان موقفها منه ، وهو الذي لم يكن يبعث في نفسها غير الهزء والاستخفاف مهما قال ، وكيف تصرف .

وكان ان جاء ذات يوم فوجدها وحيدة في المنزل ، فلما

www.ibtesamah.com/vb

نهضت لتخرج ، سد عليها الطريق ، وقال :

ـ قفي مكانك . اريد ان اتحدث اليك !

ـ تحدث ! انا امرأة لا حول لي ولا اقوى على مدافعة معتد !

ـ ان ما اريد قوله هو هذا : كل ما اعلم انني سأبقى هنا الى امد طويل . والحوادث تتطور تطوراً سريعاً في غير مصلحة الفرنسيين ، وامورهم تسير من سيء الى اسوأ . وانا استطيع ان اكون لك ولأهلك نافعاً . فلم لا تقفين مني الموقف المعقول الذي اتخذه كل من امك وابيك ؟

لم يكن من آنيت إلا ان زمت جسمها في ثيابها ، فبدت بطنها مرتفعة متضخمة ، وقالت :

ـ اتسألني بعد لم لا اكون معقولة ؟!

ارتجف هانز لهول المفاجأة ، واحمر وجهه ، وصعد الدم الى رأسه :

ـ انت حامل !

وارتمت الفتاة على كرسيها ، ووضعت يديها على وجهها ، واخترطت في البكاء بشكل تتقطع له القلوب ، فوثب نحوها ليمسك بذراعيها ، وصرخ :

www.ibtesamah.com/vb

ـ عزيزتي الرقيقة !

ولكنها دفعته برجليها بعيداً ، وصاحت :

ـ اياك ان تمسني . اخرج ! اخرج ! اما كفاك من الاساءة بعد ما فعلت !

وخرجت من الغرفة ، وحين رأى نفسه وحيداً في البيت ، لم يجد من سبيل الى الهدوء إلا ان يترك المزرعة ويتوجه الى سواسون ، وصورتها وهي تبكي ذلك البكاء المؤثر المشجي لا لا تبرح مخيلته ، وفكره مسمر عند ذلك الجنين الذي هو ابنه ، وهي تحمله في احشائها .

واقام ثلاثة ايام بلياليها في سواسون على تلك الحال من الوجوم والتفكير ، الى ان اهتدى اخيراً الى وسيلة يسري بها عن نفسه : ان يتحدث بصراحة الى مدام بيريه . وحالفه الحظ فلقيها وحدها ، وكان يعرف انها لا تقبل عليه إلا من اجل ما يقدم لها من اطايب الاطعمة ونوادر الألبسة ، فاحضر معه الشيء الكثير منها ، حتى اذا حمله اليها واعانته على حمله الى البيت ، قال :

ـ علمت بأمر آنيت !

حملقت فيه واجمة ، واجابت :

www.ibtesamah.com/vb

ـ وكيف اتيح لـك ان تعلم ، وهي التي قررت ان تخفي عنك كل شيء !

ـ هي التي اخبرتني .

ـ ارأيت الى فعلتك في ذلك المساء ؟

ثم أخذت تتدفق في حديثها إليه ، ولكن من غير تأنيب أو تعجب أو استنكار . فالحادث الذي وقع لابنتهـا لم يكن في نظرها ، سوى رزء من هذه الارزاء التي تعودتها ، وكانت تتقبلها بتسليم واذعان . ولكن آنيت قضت ليلة سوداء ، في اعقاب مقابلتها الأخيرة لهانز ، وساءت صحتها ، دون أن يتمكن أهلها من استدعاء طبيب . ومن أين لهم أن يجدوا طبيباً يعالجها في تلك الظروف القاسية ؟! واضطروا الى مراجعة احدى القابلات التي لم تفد شيئاً ، وبلغ اليأس بآنيت درجة رضيت معها بالموت ، ان كان الموت سبيلاً الى راحتها ، ولكنها لم تمت وظلت حاملا .

كان حديث مدام بيريه مؤثراً ، بالغ التأثير في نفس هانز ، وحين عاد الى المزرعة ، بذل غاية جهده لمقابلة آنيت ، وقال لها بالالمانية ، إذ لم يحسن التعبير عن أفكاره بلسان آنيت :

ـ أنا أريد الاحتفاظ بالولد يا آنيت ! وقد سررت أنك لم

www.ibtesamah.com/vb

تقدري على التخلص منه !

ـ كيف تجرأ على قول ذلك ؟

ـ اسمعي ! منـــذ علمت بالأمر وانا أفكر . سوف تنتهي الحرب خلال ستة اشهر . ولا بد للانكليز ان يركعوا في الربيع. وعند ذلك اسرح من الجيش واتزوج منك ؟

استلقت آنيت على ظهرها ، وأمعنت في الضحك ، وكان ضحكها يعلو شيئاً فشيئاً ، حتى تدخلت أمها وقالت لهانز :

ـ لا تلق بالاً اليها، ولا تؤاخذها على تصرفاتها . إنها تمر بحالة من حالات الهستيريا التي تعانيها كل حامل !

واسترجعت آنيت سيطرتها على اعصابها ، وقالت جادة ، متجهمة :

ـ أمرٌ ما في حالنا أن يغلبنا أمثالكم من البلهاء السخفاء !

عاد هانز الى التكلم بالالمانية :

ـ لم اكن اعلم انني احبك ، الا في تلك الساعة التي عرفت بها انك تحملين لي ولداً. لقد انقض علي الخبر كالصاعقة غير اني احسب حبي لك أزلياً ، أبدياً .

سألت أمها : « ماذا يقول ؟ » فأجابتها آنيت :

ـ لا شيء ذا أهمية !

ورأى أن يطلع أهـــل آنيت على نيته ، فعاد الى الحديث

www.ibtesamah.com/vb

بالفرنسية :

ـ أريد ان اتزوج منك الآن ! ولا تفكري انني لست على شيء من المكانة ورفعة النسب والثروة ، هذا بالاضافة الى انني اكبر اخوتي واخواتي سناً ، وكلهم يحبني ويعمل على ان اكون سعيداً .

سألت مدام بيريه ؟

ـ هل أنت كاثوليكي ؟

ـ نعم ! أنا كاثوليكي !

ـ ها نحن نلتقي في نقطة من النقاط :

ورأى في هذا الكلام بعض التشجيع فتابع .

ـ والمكان الذي نعيش فيه من اجمل الامكنة ، بل هو اهم مركز زراعي بين مونيخ وانزبروك ، وهو ملك لنا ، اشتراه جدي بعد حرب السبعين ، ولدينا سيارة وراديو وتليفون .

توجهت آنيت بالخطاب إلى ابيها ، وقالت ساخرة ، هازئة ، وهي تغمز هانز .

ـ هذا شاب لا ينقصه من الذوق شيء ابداً . سيكون مركزي غاية في الرفعة ، ما دام هذا الغريب القادم من بلد الفاتحين قد اعطاني ولداً من غير زواج ، وهو يقدم لي سعادة ما كنت

www.ibtesamah.com/vb

لا حلم بها . أليس هذا حظاً كبيراً ؟

تكلم المسيو بيريه ، وهـو الصموت ، لأول مرة ، فقال :

ـ أنا لا أنكر أنك قمت بخطوة بديعـة ! لقد ذهبت في في الحرب الماضية الى أماكن بعيدة ، وكنا جميعاً نقوم بأعمال ما كنا لنقدم على شيء منها في حالات السلم . الطبيعة البشرية هي الطبيعة البشرية . أما وان ابننا مات ، ولم يبق لدينا غير آنيت ، فإننا لا ندعها تتركنا وتمضي !

ورد هانز على الأب قائلاً :

ـ كنت أحسب أن هذا هو رأيك قبل أن تبديه . وجوابي عنه أنني مستعد للبقاء هنا !

سألته مدام بيريه :

ـ ماذا تعني ؟ فقال :

ـ لي أخ أصغر مني ، يستطيع ان يساعد والدي . وقـد احببت هذه البلاد ، وفي امكان المرء أن يجعل من مزرعتكم شيئاً ذا قيمة ، اذا هو بذل فيها بعض الجهد !

ثم تبادل الأم والأب نظرات تعبر عن رضا وارتياح ، إذ كان كل ما يطلبانه بعد هلاك ابنهما ان يحظيا بحضور قوي في الظلمات

يعنى بأراضيها حـــين يكبران . ولكن آنيت استاءت لموقف ابويها ، وركزت نظرها على الغريب الألماني ، وقالت بصوت متهدج خشن :

ـ أنا مرتبطة بمعلم من زملائي في المدينة التي كنت اعلم بها ، وقد تعاهدنا على الزواج بعد الحرب. صحيح أنه ليس قوياً مثلك ولا هو جميل الصورة ، وانه ناحل ، ضئيل الهيكل ، ولكن جماله يشرق في ذكائه المتألق على طلعته ، وقوته تكمن في سمو روحه . انه غـــير بربري ، بل متمدن . وخلفه ألف سنة من حضارة متراكمة . وانا أحبه بكل روحي وقلبي .

اوشكت الارض ان تميـد بهانز ، إذ لم يخطر بباله قط ، ان تكون آنيت على صلة بغيره ، فسأل :

ـ وأين هو الآن ؟

ـ واين تحسبه يقيم ؟ انه اسير يتضور جوعاً في احد معتقلات ألمانيا ، بينما تأكل أنت خيرات بلاده . كم مرة قلت لك : اني اكرهك . تسألني ايها المجنون ان اسامحك . ابداً ! عليـك ان تصلح ما افسدت !

والقت رأسهـــا الى الوراء ، وبدت متألمة ، محزونة ، وتابعت :

ـ انا التي تهدمت ! أوه ! ولكنه سيغفر لي ! انه رقيـق

www.ibtesamah.com/vb

القلب ! ان ما يعذبني ان يخالجه الشك من بعد ، انني لم اغتصب اغتصاباً ، وانني قدمت نفسي اليك لقاء الجوارب والسكر والجبن ، ثم كيف لي ان اعيش ولي ولد الماني كبير الجثة مثلك ، اشقر اللون مثلك ، ازرق العينين مثلك . إلهي ! لم كان علي ان اسام هذا العذاب ؟!

ثم نهضت وخرجت . وهيمن الصمت على الثلاثة الباقين ... اخيراً تنهد هانز وخرج ، وتبعته مدام بيريه ، فسألته ، بصوت هامس :

ـ هل كنت تعني ما تقول حين أعلنت عن رغبتك في الزواج منها ؟

ـ نعم ! وبكل معنى لكل كلمة . انا احبها .

ـ ولا تنوي ان تأخذها معك ؟ تريد ان تبقى هنا تعمل في المزرعة ؟

ـ اعدك وعداً قاطعاً .

ـ لا يستطيع بعد زوجي الهرم ان يعيش طويلاً . وعليك ان تشارك اخاك في منزلك . أما هنا فلن تشترك مع أحد .

ـ هذا صحيح !

ـ لم نكن نحن قط على وفاق مع آنيت في زواجها من ذلك المعلم ، غير ان ابننا كان في ذلك الوقت حياً ، وقال :

www.ibtesamah.com/vb

اذا كانت تريد الاقتران به فذلك امر يعنيها . اما وقد مات ابننا فالأمر اصبح مختلفاً . فهي لا تستطيع ان تقوم على شؤون المزرعة وحدها حتى وان ارادت ذلك .

بلغا الطريق المؤدية الى سواسون وهما يتحدثان ، وعندما افترق عنها قالت له :

— تعال في وقت مبكر !

كان هانز يعلم ان الأم تقف الى جانبه ، وانها اصبحت تفضله على اي صهر آخر ، غير ان ما يؤلمه هو ان تكون آنيت مستغرقة في هوى شخص آخر ، ولكن ذلك الشخص اسير لحسن الحظ . وسيكون الطفل قد ولد ، قبل ان يطلق سراحه بزمن طويل ، وسيكون من شأن طفلها اذ يولد ، ان يغير موقفها ، ويحولها عن عنادها وهواها ، فكتب الى اهله يعلمهم انه عقد العزم على الزواج من فتاة فرنسية ، وتوثقت صلته بمدام بيريه ، وراح ينقل اليها كل ما يخطر بباله ، وهي تنقل اليه كل ما يدور في الاسرة حول ذكره .

الا ان آنيت اقامت على كراهيتها ونفرتها منه فلم تتحدث اليه قط من تلقاء نفسها ، وإذا وجه إليها الخطاب ، اجابته بأقصر الأجوبة ، وعمدت الى الانسحاب والاعتكاف في غرفتها ، وقد خلعت عليها امومتها المقبلة رواء جعلها في نظر هانز آية من

www.ibtesamah.com/vb

آيات الجمال ، وفتنة من فتن الارض ، بحيث يحسب عندما يقع نظره عليها انه اوتي نعمة لم يكن لاحد ان يحظى بها سواه .

وفيما كان يسير ذات يوم على الطريق الى المزرعة ، بصر بمدام بيريه تلوح له بيدها من بعيد ، حتى اذا قرب منها ، فاجأته بقولها :

ـ انتظرتك منذ ساعة. وخيل الي وانا انتظر انك لن تحضر . يجب ان ترجع . لقد مات بيير !

ـ ومن هو بيير هذا ؟

ـ هو المعلم الذي كانت تنوي آنيت ان تقترن به .

اشرقت اساريو هانز ، ولم يدر في حومة فرحه ، كيف يقول ، فسأل وهو لا يصدق هذه السعادة :

ـ هل هي متألمة للحادث ؟

ـ لم تندب ولم تولول . وعندما حاولت ان اقول لها شيئاً ما ، لوت بوجهها عني . واذا هي ابصرتك ، طعنتك حتى بسكين المطبخ !

ـ اذا كان بيير قد مات ، فهذه ليست خطيئتي ! كيف بلغك الخبر ؟

ـ لقد هرب احد رفاقه من الاسر ، واستطاع ان يصل

www.ibtesamah.com/vb

الى فرنسا عن طريق سويسرا ، وكتب الى آنيت يعلمها بمصير رفيقه .

وقد وصلت رسالته الينا اليوم ، وفيها يروي ان المعتقلين ثاروا ، فاطلق عليهم الرصاص ، وكان بيير في تعداد الذين قتلوا ..

صمت هانز برهة ، وهو يقول في سره :

ـ ارتاح ذلك الرجل من العذاب ، وهل يظنون ان معسكرات الاسرى ملاه يتسلى بها المعتقلون ؟! . وبادرته مدام بيرييه وهو يفكر :

ـ اعطها من الوقت ما يكفي لخروجها من الازمة . ومتى هدأت ، سأحاول ان اتحدث اليها ، وسأكتب اليك رسالة اطلعك بها على ما يجد من امور .

ـ حسن ! انا اعتمد على مساعدتك واخلاصك !

ـ كن متأكداً من ذلك ، فقد اتفقت انا وزوجي في شأنك ، ووصلنا الى هذه النتيجة ، وهي ان افضل عمل نقوم به ان نتقبل الموقف على علاته . وزوجي كما تعلم ، رجل حكيم ، فهو يرى ان الحكمة تفرض على فرنسا ان تتعاون الآن مع الالمان ! انا واثقة من انك احسن زوج تناله آنيت .

www.ibtesamah.com/vb

ـ اويد ان يكون الجنين ذكراً !

ـ سيكون ذكراً . انا واثقة من ذلك . لقد بصرت به في فنجان القهوة وورق اللعب ، وكان الجواب : ذكر !

وبعد عشرة ايام من هذه المقابلة بين مدام بيريه وهانز ، قالت الأم لآنيت :

ـ كتبت لهانز منذ ايام قليلة ، وطلبت اليه ان يحضر غدا .

ـ اشكرك على اعلامي هذا . سأبقى في غرفتي !

ـ لا يا بنية ! آن لك ان تقلعي عن عنادك وتثوبي الى رشدك وتصبحي واقعية . لقد مات بيير ، وهانز يحبك ويريد الزواج منك ، وهو فتى جميل الصورة ، قوي العضلات . وما من فتاة إلا وتتمنى ان تحظى به زوجاً لها . ثم كيف لنا ان نعيد بناء مزرعتنا بدونه ؟ انه ينوي تجهيزها بالمعدات والآلات الحديثة . قولي لنفسك « عفا الله عما سلف » وعيشي ايامك مرتاحة ، منعمة راغدة .

ـ انت تبذرين كلامك على غير طائل يا امي ! كنت احصل قوتي من قبل ، وساحصله من بعد . انا اكرهه ! اكره كبرياءه وصلفه ! وبودي لو اقتله ، بل ان قتلي اياه لا ينفع غليلي . اريد

www.ibtesamah.com/vb

ان اعذبه كما عذبني ! واحسب انني لا ابلغ سعادتي إلا إذا جرحته بمثل ما جرحني ..

ـ واقبل هانز في اليوم التالي ، فرأى آنيت وحدها . قال ، وهو يبتسم :

ـ شكرا لك لانك لم تتركي المنزل !

ـ سألك ابواي ان تحضر . وقد ذهبا الى القرية . راق لي هذا الامر ، لأني اريد ان اتحدث اليك حديثاً حاسماً . اجلس !

نزع عن رأسه خوذته ، وسحب كرسياً ، ووقف ، وفيما هو يجلس بادرته :

ـ يريدني ابواي على الزواج منك . وكنت انت حكيماً بما قدمت من هدايا ونثرت في الجو من وعود ، وارسلت من صحف ، انهما يقرأن كل ما كتب فيها . اريد ان اقول لك : لا يمكن ابداً بحال ان اتزوج منك . ولا املك ان اتصور ان في الدنيا كلها مخلوقاً يكره مخلوقاً آخر كما انا اكرهك .

ـ دعيني اتكلم بالالمانية . انت تفهمينني بها اكثر مما لو تكلمت بلغتك .

ـ نعم ! لقد علمتها ، وبقيت مربية لابنتين المانيتين في

www.ibtesamah.com/vb

شتوتغارت .

واندفع يحدثها عن حبه ، ومشاريعه ، ويبدي لها الاسى على وفاة حبيبها ، وهي تعرض له ما كابده ذلك الحبيب في الاسر ، وما ذاق من هوان وعذاب ، حتى إذا انتقلا الى حديث الجنين ، قال لها :

ـ انه بعد كل حساب ولدي ! وانا اريد له الحياة !
ـ انت ؟ انت الذي وضعته في احشائي تحت وطأة السكر ، ماذا يمكن ان يكون معناه في نظرك ؟

ـ انا افكر فيه كل الوقت !
ـ هل وضعت في ذهنك انه ذكر !

ـ نعم ! انا اعرف انه ذكر . واود ان احمله بذراعي ، وان اعلمه المشي ! وعندما يكبر ، سأعلمه كل شيء اعرفه : الصيد ، الرماية ، السباحة ..

ـ لا ، انت عدوي ، وستظل عدوي . كل ما افكر فيه ان ارى فرنسا متحررة من وجسكم ، ايها الالمان ، ولن ارضى ان يكون ابني منحدراً من صلب عدو لبلادي ! انا اكرهك واكره هذا الولد الذي يعيش في احشائي !

واومضت في ذهنها فكرة اسود لها وجهها ، وامتقع لونها ،

www.ibtesamah.com/vb

فسألها ، متجاهلاً كل ما قالته :

ـ هل رأيت طبيباً يشرف على حالتك ساعة الوضع ؟

اجابته بحنق :

ـ وهل تحسب اننا من الصغار بمنزلة ننشر معها عارنا في الجو كله ؟ ستتولى والدتي بنفسها كل شيء !

ـ علينا ان نتقي المخاطر ؟

ـ كان عليك ان تنقم على نفسك ، قبل ان توقع غيرك في المخاطر !

تنهد .. ثم حمل نفسه وخرج .

واقبل آذار ، وكانت تنقلات الجنود الالمان مثار تعليقات الاهالي واشاعاتهم ، فلم يستطع هانز ان يعود الى المزرعة إلا بعد زمن طال ، وطال حتى ظنت مدام بيريه انه لن يعود ، وعندما عاد في يوم يكتنفه الضباب قالت له الام ، بدهشة ظاهرة :

ـ اهذا انت ؟ كنا نظن انك هلكت ! لقد ولد المولود هذا الصباح . وكان ذكراً .

وخفق فؤاد هانز حتى احس به يطير من بين ضلوعه ، وامعن يقبل العجوز على الخدين ، وصاح :

ـ ذكر ولد يوم الاحد ! يجب ان يكون ميموناً ! لنفتح

www.ibtesamah.com/vb

قناني الشمبانيا ، كيف آنيت ؟

ـ انها على احسن حال . تعبت في الليلة الأخيرة ، ثم انتهى كل شيء في الساعة الخامسة .

ـ انا والله اسعد رجل في الدنيا ! ما اجمل هذا العالم ! اريد ان اشاهد آنيت !

ـ لا ادري ان كانت ترضى بمقابلتك .

ودخلت الغرفة ، وصعقت حين رأتها خالية : لا آنيت ، ولا الرضيع ، فاندفعت نحو المطبخ صارخة ، مولولة ، وتبعها هانز والعجوز بيريه ، ليعرف سر صراخها ، وراح الجميع يبحثون في كل مكان ، ويصعدون وينزلون ويدورون هنا وهناك ، ولكن عبثاً ... فسأل هانز قلقاً ، حائراً :

ـ كيف انسلت الى الخارج دون ان نشعر بها ؟ علينا ان نبحث عنها مهما كلف الامر .

وصرخت مدام بيريه ، وقد خطر لها خاطر اليم تميد له الاعصاب .

واسرع هانز نحو الساقية ، وما كاد يخرج حتى دخلت آنيت مبللة ، منهكة ، صفراء ، ففاجأتها امها :

ـ اين كنت ؟ اين الرضيع ؟ ماذا فعلت ؟

اجابت آنيت ، وهي تحدق في هانز الذي اخذه

www.ibtesamah.com/vb

الاضطراب :

ـ فعلت ما كان ينبغي أن افعل. اخذته الى الساقية ،ووضعته تحت الماء الى ان مات .

صرخ هانز صرخة الحيوان الجريح الذي اصابته رصاصة قاتلة. وخرج من البيت لا يلوي على شيء .

وارتمت آنيت في كرسيها ووضعت رأسها بين يديها واستغرقت في بكاء لا نهاية له ...

ـ تمت ـ

www.ibtesamah.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر نوفمبر 2019

محتويات الكتاب

	Page	صفحة	
Mabel	3	٣	مابيل
A Woman of Fifty	11	١١	امرأة في الخمسين
Home	28	٢٨	منزل
The Letter	39	٣٩	الرسالة
The Fall of Edward Barnard	47	٤٧	سقوط ادوار بارنارد
Mayhew	112	١١٢	مايهيو
Salvator	119	١١٩	سلفاتور
The Unconquared	128	١٢٨	تلك التي لم تغلب

www.ibtesamah.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر نوفمبر 2019

صدر من مجموعة القصص الادبية العالمية

---

١ – الأرض اللعينة تأليف ف. بلاسكو ايبانيز
٢ – عذاب النفوس الكبيرة « رومان رولان
٣ – زوجة الكولونيل « وليم سمرسيت موم
(وقصص اخرى)
٤ – ثمن الشرف « بروسبير مريمه
(وقصص اخرى)
٥ – دون جوان ترجمة سمير شيخاني
(وابرات عالمية اخرى)
٦ – مابيل تأليف سومرست موم
(وقصص أخرى)
٧ – كفاح الشباب تأليف ارنولد بنيت

ثمن النسخة ١٥٠ ق. ل. او ما يعادلها

www.ibtesamah.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
حصريات شهر نوفمبر 2019

الوصول إلى الحقيقة يتطلب إزالة العوائق
التي تعترض المعرفة ، ومن أهم هذه العوائق
رواسب الجهل وسيطرة العادة ، والتبجيل المفرط لمفكري الماضي
إن الأفكر الصحيحة يجب أن تثبت بالتجربة

حصريات مجلة الابتسامة

** شهر نوفمبر 2019 **

www.ibtesamah.com/vb

التعليم ليس استعداداً للحياة ، إنه الحياة ذاتها
جون ديوي
فيلسوف وعالم نفس أمريكي

www.ibtesamah.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesamah.com/vb

- هذه الاقاصيص الثماني من روائع سومرست موم.
- « مابيل » أولاها تضحك وتؤنس .
- «امرأة في الخمسين» تثير الفضول، وتبعث على التفكير.
- « منزل » حديث عن كل طاعن في السن وعجوز من النساء .
- « الرسالة » إحدى غرائب الحياة الغرامية في كل زمان ومكان .
- « سقوط ادوارد بارنارد » صورة سريعة واضحة جلية للحضارة الاميركية الراهنة .
- « مايهيو » قصة مؤرخ عاش للتاريخ وفنونه .
- « سلفاتور » شاب أخفق في الحب ونجح في الانتصار على إخفاقه .
- « تلك التي لم تغلب » عرض رائع لحياة فرنسا في ظل الاحتلال الهتلري وحكاية غرام تبعث على الدهشة والعبرة .
- صور عالمية في هذا الكتاب الصغير ، لقاصٍّ عالميٍّ ، وفق في فنه .

ثمن النسخة ١٥٠ ق. ل. او ما يعادلها

دار المعارف لبنان ش. م. ل.
للطباعة والنشر والتوزيع

www.ibtesamah.com/vb